Journal of Ottoman Studies and Turkic World Research
Vol. 1 No. 1 (2026) PP 59-80

Ayoub Sabri Pasha's Methodology in His Classification of "The Mirror of the Two Holy Sanctuaries and the Arabian Peninsula"

Tasneem Mohamed Harb*,[1]

[1] Assistant Professor, Department of Turkish Language, Faculty of Arts and Humanities, Suez Canal University, Suez, Egypt.

Received 30 Apr. 2025
Revised 15 Oct. 2025
Accepted 5 Nov. 2025

Published 1 Jan. 2026

Cited as:
Tasneem Mohamed Harb, *Ayoub Sabri Pasha's Methodology in His Classification of "The Mirror of the Two Holy Sanctuaries and the Arabian Peninsula"* J. Ott. Stu. Tur. Wor. Res. Vol. 1, No. 1 (2026) PP 59-80. DOI: 10.18576/jostwr/010104

Abstract: This study examines the methodological approach adopted by Eyüp Sabri Pasha in his major work, Mir'at al-Haramayn al-Sharifayn wa Jazirat al-'Arab, one of the most significant Ottoman sources on the history of the Two Holy Sanctuaries in the nineteenth century. The research seeks to identify the methodological features that shaped the structure of this encyclopedic work, analyze the author's techniques in collecting, organizing, and presenting historical material, and evaluate the strengths and limitations of his approach within the intellectual context of his time. The study employs a descriptive-analytical method based on a close reading of the text, tracing the author's use of earlier historical writings, official Ottoman documents, and personal observations. The analysis demonstrates that Eyüp Sabri Pasha adopted a composite methodology that combined careful transmission from earlier sources, reliance on administrative records, and direct observation. This synthesis reflects his dual background as both a military-administrative official and a learned scholar. The research further highlights the coherent internal organization of the book. The author begins with geographical and architectural descriptions of the Two Holy Sanctuaries, then proceeds to historical developments, devoting particular attention to Ottoman reforms, renovations, and expansions. By linking historical events to their material and urban manifestations, he constructs an integrated narrative that intertwines political authority with sacred space. In terms of documentation, the study finds that the author frequently identifies his sources and occasionally notes divergent accounts, although he does not consistently adhere to detailed referencing by modern standards. Stylistically, his writing is characterized by clarity, systematic progression, and a predominantly reportorial tone, reflecting a documentary intention rather than rhetorical embellishment. The study concludes that Mir'at al-Haramayn is not merely a historical chronicle but a civilizational document embodying the Ottoman vision of administering and preserving the holy sites. Eyüp Sabri Pasha's methodology represents a distinctive model of late Ottoman encyclopedic historiography, integrating history, architecture, and administration within a comprehensive interpretive framework.

Keywords: Eyüp Sabri Pasha, Mir'at al-Haramayn, Ottoman historiography, methodology, Two Holy Sanctuaries, historical sources.

*Corresponding author: E-mail: Tasneemharb@yahoo.com

منهج أيوب صبري باشا في تصنيفه "مرآة الحرمين الشريفين وجزيرة العرب"

تسنيم محمد حرب

أستاذ مساعد بقسم اللغة التركية بكلية الآداب والعلوم الإنسانية _ جامعة قناة السويس

المستخلص: يتناول هذا البحث دراسة المنهج الذي اعتمده أيوب صبري باشا في تأليف كتابه «مرآة الحرمين الشريفين وجزيرة العرب»، بوصفه أحد أهم المصنفات العثمانية في تاريخ الحرمين الشريفين في القرن التاسع عشر. وينطلق البحث من إشكالية رئيسة تتمثل في الكشف عن السمات المنهجية التي حكمت بناء هذا العمل الموسوعي، وتحليل أدوات المؤلف في جمع مادته التاريخية وتنظيمها وعرضها، مع تقويم حدود هذا المنهج في ضوء معايير التأليف التاريخي في عصره. اعتمدت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، من خلال تتبع نصوص الكتاب واستقراء طرائق المؤلف في الإفادة من مصادره، سواء أكانت مصنفات تاريخية سابقة أم وثائق رسمية عثمانية أم مشاهدات شخصية. وقد أظهر التحليل أن أيوب صبري باشا انتهج مسارًا يجمع بين النقل الواعي عن المصادر، والاستناد إلى الوثائق الإدارية، وتضمين المعاينة المباشرة، بما يعكس خلفيته العسكرية والإدارية إلى جانب تكوينه العلمي. وكشف البحث عن عناية واضحة بالتنظيم الداخلي للكتاب؛ إذ بدأ المؤلف بوصف الأحوال الجغرافية والعمرانية للحرمين، ثم انتقل إلى التطورات التاريخية، وأفرد مساحة واسعة للإصلاحات العثمانية وأعمال التوسعة والترميم، رابطًا بين الحدث التاريخي وتجلياته المادية. كما اتسم منهجه في التوثيق بالتصريح بالمصادر في كثير من المواضع، مع الإشارة إلى اختلاف الروايات أحيانًا، وإن لم يلتزم دائمًا بالإحالة التفصيلية. أما من حيث الأسلوب، فقد تميز عرضه بالوضوح والتدرج والابتعاد عن التكلف، مع نزعة تقريرية. وخلصت الدراسة إلى أن «مرآة الحرمين» لا يمثل مجرد سجل تاريخي، بل يُعد وثيقة حضارية تعكس الرؤية العثمانية لإدارة المقدسات والعناية بها، وأن منهج مؤلفه يجسد نموذجًا للتأليف الموسوعي العثماني الذي يجمع بين التاريخ والعمران والإدارة.

الكلمات المفتاحية: أيوب صبري باشا، مرآة الحرمين، التاريخ العثماني، مناهج التأليف، الحرمين الشريفين، المصادر التاريخية.

المقدمه

يُعَدّ كتاب «مرآة الحرمين الشريفين وجزيرة العرب» لأيوب صبري باشا من أوسع المصنفات العثمانية المتأخرة التي خُصِّصت للحرمين الشريفين، من حيث حجم المادة، وتنوع موضوعاتها، واعتمادها على الجمع بين التاريخ، والجغرافيا، والوصف الاجتماعي، والعمراني. وقد ألّف أيوب صبري باشا هذا الكتاب في سياق تاريخي تميّز بتنامي العناية الرسمية والعلمية بالحرمين الشريفين في أواخر القرن التاسع عشر[1]، وهو ما جعل هذا العمل يتجاوز كونه سردًا تاريخيًا محضًا إلى كونه موسوعة جامعة لأحوال مكة المكرمة والمدينة المنورة وجزيرة العرب.

وتنبع أهمية هذا الكتاب من كونه قائمًا على منهج وصفي تجميعي واضح المعالم، إذ حرص المؤلف على جمع ما تفرق في المصادر السابقة، وإضافة ما شاهده وعاينه بنفسه خلال إقامته الطويلة في الحرمين الشريفين، فضلًا عن تدوين ما سمعه من الروايات الشفوية المتداولة بين أهل البلاد. ويصرّح أيوب صبري باشا في مواضع متعددة من كتابه بأن مقصده هو تقديم صورة شاملة ودقيقة عن هذه الديار المقدسة، وأن عمله هذا إنما جاء لجمع الأخبار والآثار المتعلقة بالحرمين الشريفين، وبيان أحوالهما قديمًا وحديثًا[2]

وتتجلى القيمة العلمية للكتاب في اعتماده على مصادر متعددة ومتنوعة، من كتب تاريخية وجغرافية وفقهية، إلى جانب المشاهدة المباشرة، وهو ما أكسب مادته ثراءً واضحًا، وجعلها مرجعًا لا غنى عنه للباحثين في تاريخ الحجاز والحرمين الشريفين. ويؤكد المؤلف هذا المنحى حين يذكر أنه لم يكتفِ بالنقل عن الكتب، بل ضمّ إلى ذلك ما وقف عليه بالمشاهدة والمعاينة[3] .

وانطلاقًا من هذه الأهمية، جاء اختيار هذا الموضوع لدراسة منهج أيوب صبري باشا في كتابة «مرآة الحرمين»، لا لدراسة المادة التاريخية في ذاتها، وإنما للوقوف على الكيفية التي جمع بها المؤلف مادته، ونظمها، وعرضها، ووثّقها، وهو ما يسهم في فهم

[1] انظر: محمد الأمين المكي. خدمات العثمانيين في الحرمين الشريفين ومناسك الحج، ترجمة: ماجدة مخلوف، دار الأفاق الجديدة، ط2، 2005.، ومحمد عبد اللطيف هريدي. شئون الحرمين الشريفين في العهد العثماني في ضوء الوثائق التركية العثمانية، دار الزهراء للنشر، القاهرة، ط1، 1989، و تسنيم محمد حرب، الرحلات العثمانية الرسمية إلي الخليج والجزيرة العربية في عهد السلطان عبد الحميد الثاني، مركز طروس للنشر والتوزيع، ط1، 2019.

[2] موسوعة مرآة الحرمين 63/1

[3] موسوعة مرآة الحرمين 94،57/1

2026 @ Copyright

طبيعة الكتابة التاريخية العثمانية المتأخرة، وخصائص التأليف الموسوعي في هذا العصر.

ويهدف هذا البحث إلى دراسة منهج أيوب صبري باشا في كتابه «مرآة الحرمين» دراسة وصفية تحليلية، من خلال تتبع طريقة جمع المادة العلمية، وتنظيم الكتاب وبنائه الداخلي، ومنهجه في العرض والتوثيق، مع تقييم هذا المنهج وبيان حدوده. وقد التزم البحث بالمنهج الوصفي بوصفه الإطار العام للدراسة، مع توظيف التحليل في حدوده الضرورية لخدمة الوصف وتوضيحه.

وتتحدد حدود البحث في دراسة منهج المؤلف كما تجلى في كتاب «مرآة الحرمين» بأجزائه المختلفة، دون التوسع في نقد الوقائع التاريخية أو مقارنة الكتاب بغيره من المصنفات إلا بالقدر الذي يخدم بيان المنهج. وقد التزم البحث الاعتماد على نصوص الكتاب، والإكثار من الاقتباس منه.

الفصل الأول: المؤلف والكتاب

المبحث الأول: أيوب صبري باشا

اسمه ونسبه[4]

أيوب صبري باشا (ت 1308هـ/1890م) هو أيوب صبري بن سيد شريف الإسلام بن الحاج أحمد، اليكيشهري الإستانبولي، العثماني الحنفي، أحد أعلام التأريخ العثماني في القرن التاسع عشر، ومن أبرز من عُنوا بتاريخ الحرمين الشريفين وجزيرة العرب في تلك الحقبة. جمع في شخصيته بين الخبرة العسكرية، والعمل الإداري، والاهتمام العلمي والأدبي، وهو ما انعكس بوضوح في مؤلفاته، ولا سيما موسوعته الكبرى "مرآة الحرمين الشريفين وجزيرة العرب".

وُلد أيوب صبري باشا في الدولة العثمانية في أوائل القرن الثالث عشر الهجري/التاسع عشر الميلادي، ونشأ في بيئة علمية وإدارية مكّنته من الاطلاع على التراثين العربي والتركي معًا، كما أتاح له مساره الوظيفي اللاحق الاحتكاك المباشر بالواقع السياسي والاجتماعي في أقاليم الدولة العثمانية، ولا سيما في الحجاز. وقد عُرف بوصفه رحّالة ومؤرخًا وعسكريًا، جمع بين التكوين النظري والخبرة العملية.

بدأ حياته العملية بالالتحاق بالقوات البحرية العثمانية، ثم تنقّل في عدد من المناصب العسكرية، إلى أن كُلّف بالعمل في ولاية الحجاز، حيث عُيّن مديرًا للبحرية العثمانية هناك في حدود سنة 1865م. وقد شكّلت هذه المرحلة منعطفًا مهمًا في حياته العلمية، إذ أتاح له مقامه الطويل في مكة المكرمة والمدينة المنورة الوقوف المباشر على أحوال الحرمين الشريفين، ومشاهدة العمران، والشعائر، والتنظيمات الإدارية، والعادات الاجتماعية، وهي عناصر ستغدو لاحقًا مادة أساسية في كتابه "مرآة الحرمين".

وبعد انتهاء مهمته في الحجاز، عاد إلى إستانبول، حيث رُقّي إلى رتبة أمير لواء، وتولى منصب رئيس قسم المحاسبات في الدائرة البحرية، كما عُيّن مدرسًا في مدرسة البحرية الشاهانية في إستانبول. ويكشف هذا المسار الوظيفي عن شخصية متعددة الأبعاد، تجمع بين العمل العسكري والإداري والتعليمي، وهو ما يفسّر النزعة التنظيمية الواضحة في مؤلفاته.

توفي أيوب صبري باشا في إستانبول في الأول من شهر صفر سنة 1308هـ الموافق 1890م، بعد حياة حافلة بالأعمال العسكرية والعلمية والأدبية.

مصنفاته[5]

خلّف أيوب صبري باشا عددًا من المؤلفات المتنوعة في مجالات التاريخ، والعقيدة، والتصوف، والأخلاق، والفقه، والأدب، من أبرزها: «أسباب العناية في ترجمة بداية الهداية للغزالي»، و«تاريخ الوهابية»، و«ترجمة الشمائل النبوية والخصائل المصطفوية للترمذي»، و«تكملة المناسك»، و«الجوهر الفريد في رد التثليث وتأييد التوحيد»، و«رياض الموقنين»، و«عزيز الآثار في شرح قصيدة بانت سعاد»، و«محمود السير»، إلى جانب عمله الأهم «مرآة الحرمين» بجزأيه، و«مرآة جزيرة العرب»، التي جُمعت

---

[4] انظر: هديّة العارفين 229/1؛ ذيل كشف الظنون 218/1؛ معجم المؤلفين 30/1، معجم التاريخ «التراث الإسلامي في مكتبات العالم (المخطوطات والمطبوعات)، إعداد: علي الرضا قره بلوط - أحمد طوران قره بلوط، دار العقبة، قيصري – تركيا، ط1، 1422 هـ - 2001 م،728/1.

[5] انظر: هديّة العارفين ١/ ٢٢٩؛ ذيل كشف الظنون ١/ ٢١٨؛ معجم المؤلفين ٣/ ٣٠، معجم التاريخ «التراث الإسلامي في مكتبات العالم (المخطوطات والمطبوعات)، إعداد: علي الرضا قره بلوط - أحمد طوران قره بلوط، دار العقبة، قيصري – تركيا، ط1، 1422 هـ - 2001 م 728/1.

لاحقًا في موسوعة واحدة بعنوان «مرآة الحرمين الشريفين وجزيرة العرب».

وتُظهر هذه المصنفات تنوع اهتماماته العلمية، غير أن العناية بتاريخ الحرمين الشريفين تظل السمة الأبرز في إنتاجه العلمي، وهو ما يمنح كتابه «مرآة الحرمين» مكانته الخاصة بين مصنفات التاريخ العثماني المتأخر.

وظيفته وتنقلاته

تقلّد أيوب صبري باشا عددًا من المناصب في السلك العسكري، حتى بلغ رتبة أميرلاي في البحرية العثمانية، وقد أتاح له هذا الموقع الوظيفي التنقل بين الأقاليم، والإقامة فترات طويلة في مكة المكرمة والمدينة المنورة. وكان لهذه الإقامة أثر بالغ في تكوين مادته العلمية، إذ جمع بين الاطلاع على المصادر المكتوبة والمشاهدة المباشرة لأحوال البلاد وسكانها، وهو ما انعكس بوضوح في كتابه "مرآة الحرمين"

ويشير المؤلف نفسه إلى أثر هذه الإقامة في تشكيل كتابه، إذ يصرّح بأنه اعتمد على مشاهداته الشخصية إلى جانب ما نقله عن الكتب والروايات، مؤكدًا أن المعاينة كانت ركنًا أساسيًا في تصنيفه.

أثر إقامته في الحرمين في كتابه

أسهمت إقامة أيوب صبري باشا في الحرمين الشريفين في إكساب كتابه طابعًا ميدانيًا واضحًا، إذ لم يكتفِ بسرد الأخبار التاريخية، بل قدّم أوصافًا دقيقة للمشاعر المقدسة، والمباني، والعادات الاجتماعية، والأنظمة الإدارية، مستندًا إلى ما رآه وعاينه بنفسه. ويظهر هذا الأثر في كثرة التفاصيل الوصفية التي يوردها، وفي حرصه على تسجيل ما قد يغفله المؤرخ البعيد عن المكان.

المبحث الثاني: التعريف بكتاب "مرآة الحرمين"

اسم الكتاب ودلالته

اختار أيوب صبري باشا لعمله الموسوعي عنوان «مرآة الحرمين»، وهو اختيار يعكس بوضوح طبيعة المنهج الذي سلكه في كتابه. فالمرآة، في تصور المؤلف، ليست مجرد أداة لعرض صورة جامدة، بل وسيلة لتقريب البعيد وتمكين القارئ من الاطلاع على الأحوال والوقائع كما هي، دون اختزال أو تزيين. وقد عبّر أيوب صبري باشا عن هذا المعنى صراحة حين أشار إلى أن المرآة تقرّب ما بَعُد عن النظر، وتُظهر صورة الأحوال والوقائع عرضًا واضحًا، وهو ما أراده لكتابه في تناوله للحرمين الشريفين وأحوالهما. فيقول: «ومن البديهي أن الذين يسمعون لفظ المرآة، سيلقون نظرة على سطور صفحاتها ثم يظنون أنهم سيرون فيها صور أنفسهم بدليل لفظ المرآة التي تعكس الصور، ولكنهم إذا ما تذكروا أن من معاني المرآة ومهماتها تقريب البعيد، حينئذ سيقولون بأن مرآة الحرمين كتاب تاريخ كثير المنافع جامع لأحوال عامة البلاد الحجازية.» [6]

وتتضح دلالة هذا العنوان بصورة أعمق عند النظر في البناء الداخلي للكتاب، إذ نظّم أيوب صبري باشا مادته وفق تقسيم خاص يقوم على «المرايا» و«الصور» و«الوجهات». ويُوحي هذا التقسيم بطابع عرضي بصري، يهدف إلى تنظيم المادة، وتقديمها في صورة متتابعة تساعد القارئ على الإحاطة بالموضوعات دون اضطراب. كما يعكس هذا النسق غلبة المنهج الوصفي على العمل، حيث يتقدّم عرض الأحوال والوقائع على التحليل أو التعليل.

ويبيّن المؤلف أن هذا التنظيم جاء نتيجة لطبيعة المادة التي جمعها، فقد عمد إلى تدوين الأحداث والوقائع والتحولات الكبرى التي شهدتها الأقطار الحجازية، فخصّ مكة المكرمة بمجلد مستقل، وأفرد للمدينة المنورة مجلدًا آخر، ثم ألحق بهما تاريخًا عامًا لجزيرة العرب، فيقول: «والحاصل أنه قد كتبت جميع الأحداث والوقائع والانقلابات الخاصة بالأقطار الحجازية، واختصصت أحداث مكة بمجلد، كما اختصصت أحداث المدينة بمجلد وإتماما لهذين المجلدين كتبت تاريخا للجزيرة العربية»[7]، وقد جعل ذلك استكمالًا للصورة التاريخية الشاملة. ويؤكد في هذا السياق أن كتابه لا يدّعي الحسم في المسائل التي اختلف فيها المؤرخون، كزمن تأسيس بيت الله الحرام، وإنما يكتفي بعرض الوقائع الثابتة والأحوال الموثقة عرضًا متسلسلًا، اعتمادًا على ما ثبت من الروايات والأحداث منذ عهد النبي ﷺ إلى عصره، مع تعريف كل واقعة وبيان سياقها بعد التحري والتدقيق.

ولا يقوم عرض هذه المادة على التسلسل السياسي التقليدي القائم على تعاقب الدول أو عهود الملوك والسلاطين، بل يعتمد تقسيمًا

[6] موسوعة مرآة الحرمين 62/1
[7] موسوعة مرآة الحرمين 62/1

2026 @ Copyright

موضوعيًا يقوم على «الصور» و«الوجهات»، قصد به إبراز تطور الأحوال في مكة المكرمة والمسجد النبوي الشريف منذ تأسيسهما، وما شهدته الأقطار الحجازية من ثورات وانقلابات، وما تعرّضت له المواضع المقدسة من أحداث وتحولات عبر التاريخ. ويكشف هذا الأسلوب عن توجه منهجي يهدف إلى تقريب الصورة التاريخية للقارئ، وتقديمها في إطار وصفي جامع، بعيد عن الاقتصار على السرد السياسي المجرد.

ومن هذا المنطلق تتحدد دلالة لفظ «المرآة» عند أيوب صبري باشا بوصفها أداة معرفية، لا مجرد استعارة لفظية؛ فهي وسيلة لتمثيل الواقع التاريخي وتقريبه، وإظهار ملامحه العامة في صورة متكاملة. وبهذا المعنى يغدو كتاب «مرآة الحرمين» مصنفًا تاريخيًا جامعًا، يعرض أحوال الحرمين الشريفين والبلاد الحجازية عرضًا وصفيًا توثيقيًا، ويقدّم للقارئ صورة شاملة للوقائع والتحولات التي شهدتها هذه البقاع عبر العصور.

حجم الكتاب وأجزاؤه

يُعدّ «مرآة الحرمين» من أضخم المصنفات العثمانية المتأخرة، إذ يقع في ثلاث مجلدات كبرى، موزعة على خمسة أجزاء: جزآن لمرآة مكة، وجزآن لمرآة المدينة، وجزء واحد لمرآة جزيرة العرب. ويقارب مجموع صفحاته ثلاثة آلاف صفحة من القطع الكبير، وهو حجم يعكس موسوعية المؤلف وسعيه إلى الإحاطة الشاملة بالموضوع [8].

وقد راعى أيوب صبري باشا في هذا التقسيم التوازن النسبي بين مادتي مكة والمدينة، نظرًا لمكانتهما الدينية والتاريخية، ثم ألحق بهما جزيرة العرب بوصفها الإطار الجغرافي والتاريخي الأوسع الذي لا تكتمل صورة الحرمين بدونه.

زمن التأليف ومدة إنجازه

استغرق تأليف «مرآة الحرمين» مدة طويلة بلغت نحو سبعة عشر عامًا، وهو ما يصرّح به المؤلف في مقدمته، مبينًا أنه بدأ الاشتغال به سنة 1289هـ، فيقول في نهاية كتابه:" تم بحمد الله تأليف مجلد مكة المكرمة من أثرى «مرآة الحرمين» الذي شغلت بتأليفه منذ سنة 1289 "[9] ، وقد أتم تأليفه وطبعه في أوائل جمادى الآخرة سنة 1306هـ[10]. ويكشف هذا الامتداد الزمني عن طبيعة العمل التراكمية، وعن اعتماد المؤلف على الجمع المتأني والمدقق للمادة وتنقيحها وإعادة النظر فيها قبل إخراجها في صورتها النهائية.

المبحث الثالث: دوافع التأليف وأهدافه

تتعدد الدوافع التي حدت بأيوب صبري باشا إلى تأليف كتابه «مرآة الحرمين الشريفين وجزيرة العرب»، وتتداخل فيها الاعتبارات الدينية والعلمية والشخصية، فضلًا عن الجانب السياسي الذي أُلّف فيه الكتاب. وقد حرص المؤلف على التصريح بهذه الدوافع في مقدمة كتابه، بما يتيح الوقوف على مقاصده وأهدافه بوضوح.

أولًا: خدمة الحرمين الشريفين وخدمة المسلمين

يُصرّح أيوب صبري باشا بأن الدافع الأساس لتأليفه هذا العمل هو خدمة الحرمين الشريفين، وخدمة المسلمين عامة، إذ يرى أن هذه البقاع المقدسة تمثل موضع العناية الأولى في العالم الإسلامي، لما لها من مكانة دينية وتاريخية رفيعة. ويؤكد أن التعريف بأحوال مكة المكرمة والمدينة المنورة، وبيان ما شهدتاه من أحداث وتحولات، هو ضرب من الخدمة العلمية والدينية، التي ينتفع بها «أبناء الملة العثمانية» وسائر المسلمين[11].

ويُفهم من عباراته أن هذا الدافع لم يكن مجرد حافز معنوي، بل غاية مقصودة، إذ جعل من كتابه وسيلة لتقريب صورة الحرمين إلى من لم تتح لهم زيارتهما، وتمكين القارئ من الوقوف على أحوالهما العمرانية والتاريخية والدينية كما لو كان يشاهدهما مشاهدة

---

[8] مقدمة الترجمة العربية 9/1.

[9] موسوعة مرآة الحرمين الشريفين وجزيرة العرب (5/ 323)

[10] ومما يدل على استغراقه لهذا العدد من السنوات قوله معلقا على إمارة الأشراف الحسينيين للمدينة "لما كانت إمارة مكة المكرمة في يد الأشراف الحسنية كانت إمارة المدينة المنورة تحت إدارة السادة الحسينية، وكانوا ينتخبون من مركز الخلافة ويعينون لمنصب الإمارة. كان حسن المثنى ابن الإمام حسن السبط في عهد بنى أمية يتولى إدارة أوقاف المدينة المنورة .... وما زال نسل المشار إليه جالسا على كرسي الإمارة إلى الآن في سنة 1306.» موسوعة مرآة الحرمين الشريفين وجزيرة العرب (5/ 92)

[11] موسوعة مرآة الحرمين 57/1

مباشرة.

ثانيًا: الإفادة العامة وترك أثر علمي نافع

يرتبط دافع خدمة الحرمين بدافع آخر لا يقل أهمية، وهو الرغبة في الإفادة العامة، وترك أثر علمي نافع يبقى بعد صاحبه. وقد عبّر أيوب صبري باشا عن هذا المعنى حين أشار إلى أنه أراد أن يخلّف «ذكرى طيبة» ينتفع بها الناس ويدعون لصاحبها، مستحضرًا المعنى الأخلاقي لبقاء العمل الصالح بعد انقضاء العمر. فيقول:" وإنني أقدمت على إنجاز هذا العمل نازلا لحكم المصراع الشعرى المعروف:

«لا تبقى تحت هذه القبة إلا ذكرى طيبة ولحن عذب»[12].

ويكشف هذا التصريح عن وعي المؤلف بقيمة التأليف بوصفه عملًا ممتد الأثر، يتجاوز زمن المؤلف إلى أجيال لاحقة.

ثالثًا: سدّ نقص المؤلفات السابقة والجمع بين المتفرق

ومن الدوافع الرئيسة التي يذكرها المؤلف ما لاحظه من نقص في المؤلفات السابقة التي تناولت تاريخ مكة أو المدينة أو جزيرة العرب كلٌّ على حدة. فقد رأى أن هذه المصنفات، على قيمتها، إما أنها تعالج جانبًا واحدًا دون غيره، أو تفتقر إلى الجمع بين الأقاليم الحجازية في عمل واحد شامل. لذلك عزم على أن يدوّن تاريخًا جامعًا، يضم أحوال مكة المكرمة في مجلد مستقل، وأحوال المدينة المنورة في مجلد آخر، ثم يُتبع ذلك بتاريخ عام لجزيرة العرب، ليكتمل الإطار الجغرافي والتاريخي للموضوع[13].

ويؤكد المؤلف في هذا السياق أنه لم يقصد الادعاء بالإحاطة الكاملة أو الحسم في المسائل المختلف فيها، وإنما أراد عرض الوقائع الثابتة عرضًا متسلسلًا، قائمًا على ما صحّ من الروايات والأحداث التاريخية.

رابعًا: الجمع بين النقل والمشاهدة والتحقق

يبرز في دوافع التأليف كذلك حرص أيوب صبري باشا على الجمع بين المعرفة النظرية والتوثيق الميداني. فقد أشار إلى أن اختلاف الأقوال التاريخية حول بعض المواضع، مثل مواقع يثرب وبطحاء مكة، لا يمكن حسمه اعتمادًا على النقل وحده، بل يتطلب السفر والمشاهدة والتفقد. ومن هنا جاءت رغبته في الارتحال إلى الحجاز، رغم ما اعترضه من صعوبات وتردد في بادئ الأمر، ليتمكن من المعاينة المباشرة، والتحقق من صحة كثير من الأخبار[14] .

وقد انعكس هذا الدافع بوضوح في منهجه، إذ جمع بين النقل عن المصادر الموثوقة، والاستفادة من الروايات الشفوية، وتسجيل ما شاهده بنفسه، معتبرًا أن هذا الجمع هو السبيل إلى تقديم صورة أقرب إلى الواقع.

خامسًا: التشجيع على الحج وإحياء الصلة بالحرمين

ومن الأهداف العملية التي صرّح بها المؤلف أن يكون كتابه باعثًا على ترغيب من أدّى فريضة الحج في تكرارها، وتشجيع من لم يحج بعد على قصد هذه البقاع المقدسة. ويكشف هذا الهدف عن بعد دعوي واضح في الكتاب، إذ لم يرد له أن يكون مجرد عمل تاريخي، بل وسيلة لإحياء الصلة الروحية بالحرمين الشريفين، عبر التعريف بفضائلهما ومعالمهما وأحوالهما[15].

الفصل الثاني: منهج أيوب صبري باشا في جمع المادة العلمي

المبحث الأول: اعتماده على المصادر المكتوبة

يحتلّ الاعتماد على المصادر المكتوبة موقعًا مركزيًا في منهج أيوب صبري باشا في تأليف «مرآة الحرمين الشريفين وجزيرة العرب»، إذ جعل من الرجوع إلى المصنفات المعتمدة أساسًا في بناء مادته العلمية، قبل إكمالها بالمشاهدة والمعاينة والرواية الشفوية. وقد صرّح المؤلف بأسماء عدد كبير من الكتب التي اتخذها مراجع لعمله، وهو ما يعكس حرصًا واضحًا على أهمية

[12] موسوعة مرآة الحرمين 57/1
[13] موسوعة مرآة الحرمين 58/1
[14] موسوعة مرآة الحرمين 53/2
[15] موسوعة مرآة الحرمين 57/1

2026 @ Copyright

التوثيق، وعلى إظهار أصول مادته العلمية.

ويذكر أيوب صبري باشا تحت عنوان: " **إفادة مخصوصة** " أنه اعتمد في تأليفه على عدد واسع من الكتب في التفسير، والحديث، والسيرة، والتاريخ، والفقه، وفضائل الأمكنة، والتواريخ العثمانية، ومن ذلك: «تفسير الكشاف، والتفسير الكبير، وتفسير أبي السعود، وتفسير النسفي، وتفسير ابن كثير، وتفسير الخازن»، إضافة إلى كتب الحديث كـ«صحيح مسلم» و«الطحاوي».

وكتب السيرة والفضائل مثل «الشمائل»، و«خير البشر بخير البشر» لأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن ظفر الصقلي (1172م - 565هـ)، و«العقد الثمين في فضائل البلد الأمين» لتقي الدين محمد بن أحمد الحسني الفاسي المكي (ت 832هـ)، و«فضائل بيت الله» لملا علي القاري (1014 هـ -1606 م) ، فضلًا عن كتب التاريخ المكي والمدني، كـتاريخ الإمام الأزرقي" أخبار مكة" لأبي الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد الأزرقي الغساني المكي وتوفى سنة 250هـ ، وتاريخ الإمام الفاكهي" أخبار مكة " لأبي عبد الله محمد بن إسحاق بن العباس الفاكهي الكناني(217 هـ 275 - هـ 832 / م 888 - م)، و«خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى»، و«وفاء الوفا» والكتابان لعلي بن عبد الله بن أحمد الحسني السمهودي (ت 911هـ) .

ولا يكتفي المؤلف بسرد أسماء هذه المصادر، بل يصرّح بأن «المباحث التي احتوت عليها المرآة إنما هي خلاصة ما أُخذ واقتُبس من الكتب المذكورة آنفًا»[16].

ويُلاحظ أن أيوب صبري باشا لم يحصر اعتماده على المصادر العربية وحدها، بل رجع كذلك إلى عدد من المصنفات التركية والفارسية، فيذكر مما رجع إليه: «فذلكة كاتب جلبي»[17]، و«روضة الصفا في سيرة الأنبياء والملوك والخلفاء»[18]، فضلًا عن رسائل وتحقيقات معاصريه من أمثال الدكتور رائف أفندي[19] ، وهو ما يكشف عن سعة أفقه في الاستفادة من مختلف البيئات العلمية المتاحة له[20].

ومن أبرز سمات منهجه في التعامل مع هذه المصادر أنه لا يكتفي بالإحالة المجملة، بل ينقل النصوص نقلًا مطوّلًا في مواضع كثيرة، محافظًا على ألفاظها وسياقها، ثم يدرجها ضمن عرض وصفي عام[21]. ويتجلى هذا المنحى بوضوح في مرآة المدينة المنورة، حيث يجعل كتاب «خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى» للسمهودي أساسًا رئيسًا، ثم يضم إليه ما وقف عليه من روايات أخرى، وما شاهده بنفسه من أحوال المسجد النبوي والمدينة[22].

كما يحرص المؤلف في مواضع متعددة على الإشارة إلى اختلاف الأقوال التاريخية، وتعدد الروايات في المسألة الواحدة، لا سيما في القضايا المتعلقة بتاريخ تأسيس الأبنية المقدسة، أو تحديد بعض المواضع الجغرافية، مثل الخلاف في مواضع «يثرب» و«بطحاء مكة». ويؤكد أن هذه المسائل لا يمكن الجزم فيها اعتمادًا على مصدر واحد، بل تقتضي الجمع بين الروايات والتدقيق والمقابلة بينها[23]

ويصرّح أيوب صبري باشا بأن غايته من هذا الجمع ليست الحسم في كل مسألة، وإنما عرض ما ثبت وقوعه تاريخيًا، وتدوين الوقائع المتفق عليها، وبيان ما وقع من تجديدات وعمارات للمباني المقدسة، مع ذكر من قام بها، والجهود التي بُذلت في سبيلها، وكيف كانت هيئاتها السابقة، وما آلت إليه في العصور اللاحقة. كما يوسّع دائرة العرض لتشمل الأحوال الجغرافية، والمحاصيل الزراعية، وإيجار بيوت مكة، وتوزيع الكسوة المباركة للكعبة الشريفة، وإرسال الصرة السلطانية، وتاريخ نشأتها ومقاديرها في العصور المختلفة[24]

---

[16] موسوعة مرآة الحرمين 61/1

[17] هو كتاب تقويم التواريخ عثماني، لمصطفى بن عبد الله القسطنطيني الشهير بحاجي خليفة، وهو مشتمل على نتيجة كتب التواريخ، ذكر فيه التواريخ المستعملة، ثم الوقائع مجدولاً فصار كالفهرس لكتب التواريخ. كشف الظنون 469/1، ومعجم تاريخ التراث الإسلامي في مكتبات العالم..، 5/ 3703

[18] كتاب تاريخ فارسي، من تأليف: ميرخواند محمد بن خواند شاه محمود المؤرخ المعروف بمير خواند المتوفي 903ه- 1498م. كشف الظنون 926/1.

[19] محمد رائف أفندي الإستانبولي العثماني الحنفي النقشبدي المتوفي بإستانبول سنة 1891، من تصانيفه :آداب المسجد والجامع، ترجمة مختصر الشمائل المحمدية. ومعجم تاريخ التراث الإسلامي في مكتبات العالم..، 5/ 3389

[20] موسوعة مرآة الحرمين 60/1

[21] مثال على ذلك ما نقله عن صواعق مكة المكرمة وأخطارها وجاء نقله عن تلك الصواعق والأخطار فيما يزيد على صفحتين: «يقول الإمام الفاسي وهو يتحدث عن صواعق مكة المكرمة وأخطارها، ناقلا عن الإمام الأزرقي عن محمد بن يحيى وابن يحيى عن عبد العزيز» انظر: موسوعة مرآة الحرمين الشريفين وجزيرة العرب» (2/ 529)

[22] موسوعة مرآة الحرمين 8/3

[23] موسوعة مرآة الحرمين 57/1، 118/3

[24] موسوعة مرآة الحرمين 150/1، 583/2، 724/2 وغيرها.

ويكشف هذا المنهج عن النزعة الموسوعية لمرآة الحرمين، تقوم على استقصاء المادة من مظانها الأصلية، وعرضها دون إغراق في التحليل أو الترجيح، وهو ما ينسجم تمامًا مع الطابع الوصفي الذي التزمه المؤلف في كتابه، ومع الهدف الذي صرّح به، وهو تقديم صورة شاملة لأحوال الحرمين الشريفين والبلاد الحجازية، تعتمد على النصوص الموثوقة، وتخدم القارئ بالجمع والتوثيق قبل أي غاية أخرى.

المبحث الثاني: المشاهدة والمعاينة المباشرة

تُعدّ المشاهدة والمعاينة المباشرة من الركائز المنهجية الأساسية التي اعتمد عليها أيوب صبري باشا في تأليف موسوعته "مرآة الحرمين الشريفين وجزيرة العرب"، إذ لم يكتفِ بالنقل عن المصادر المكتوبة أو الروايات المتداولة، بل حرص على الانتقال إلى المواقع التي تناولها بالوصف، ومعاينتها ميدانيًا، وتسجيل ملاحظاته التفصيلية عن العمران، والمشاعر المقدسة، والمعالم الدينية، والعادات الاجتماعية المرتبطة بها. وقد صرّح المؤلف بوضوح بهذا المنهج حين أكد أنه تعمّد زيارة المواضع بنفسه والتحقق من أوصافها على أرض الواقع، لا اعتمادًا على النقل المجرد، بقوله إنه لم يكتفِ بما نُقل إليه، بل انتقل إلى الأماكن وتثبت من أوصافها ميدانيًا[25]

ولا تتوقف قيمة المعاينة المباشرة عند حدود الرؤية الحسية، بل تتجلى أهميتها في ربطها بالمصادر التاريخية المكتوبة؛ إذ يقارن أيوب صبري باشا بين ما شاهده بنفسه وما ورد في كتب المؤرخين المتقدمين، فيجمع بين الرواية التاريخية والملاحظة الواقعية. ويتضح ذلك في حديثه عن تاريخ بناء الكعبة المشرفة، حيث يشير إلى روايات الأزرقي والفاكهي في وصف عمارة البيت، ثم يبين أنه قابل تلك الروايات بما شاهده قائمًا في عصره من عمارة السلطان مراد خان[26] ، وهو ما يكشف عن وعي نقدي ومنهج مقارن يعزز من مصداقية الوصف ودقته.

وتبرز دقة المعاينة الميدانية كذلك في وصفه للمعالم المعمارية المرتبطة بالحرم المكي، ولا سيما عند حديثه عن المسعى؛ إذ يورد قياسات تفصيلية لطوله وعرضه، ويؤكد أنه قام بمسحه وتدقيق معالمه بنفسه ليكون الوصف مطابقًا للواقع، وهو ما يدل على اعتماده على المسح المباشر لا على التقدير أو النقل، كما في قوله:" يبلغ طول المسعى من الصفا إلى المروة سبعمائة وثمانية وستين ذراعًا، وعرضه نحو أربعين ذراعًا، وقد قمت بمسحه وتدقيق معالمه ليكون الوصف مطابقًا للواقع"[27]

وتتضح قيمة المشاهدة الميدانية أيضًا في تسجيله للأسماء المحلية للأماكن والموارد المائية، كما في تعريفه بعين الخيف، حيث يذكر أنها اسم للماء الذي تُسقى به المزارع في مناطق مساجد الفتح، ويشير إلى تسميتها في عصره باسم «شبشب»[28] ، وهو ما يعكس اهتمامه بتوثيق التحولات والتغيرات الاصطلاحية المرتبطة بالمكان.

كما تتجلى المعاينة المباشرة في وصفه الدقيق لعمارة الكعبة المشرفة وأعمال الصيانة والتجديد التي شهدها بنفسه، إذ يسجل تفاصيل زمنية ومعمارية لا يمكن تحصيلها من النقل وحده، مثل حديثه عن جلي الرخام الداخلي للكعبة، ووضع الكرسي الخاص بحامل مفتاحها، وتصريحه بأنه عاين وضع الأحجار بدقة لإثباتها في سجلات الموسوعة، مما يدل على نزعة توثيقية واضحة. إذ يسجل تفاصيل دقيقة لا يمكن تحصيلها من النقل وحده، فيقول:" وفي يوم الجمعة العشرين من شوال، جلي رخام كعبة الله الذي في جدرانها الداخلية، ووضع الكرسي الخاص لجلوس حامل مفتاح الكعبة في مكانه بعد ما زينوه.. وقد عاينتُ وضع الأحجار بدقة لإثباتها في سجلات المرآة. [29]"

ويظهر هذا المنهج في وصفه لبئر زمزم والمنشآت المرتبطة بها، إذ يورد تفاصيل تتعلق بأعمال التنظيف والتجديد، فيقول:" طهروا مجرى باب إبراهيم بعد ما سحبوا المياه التي كانت قد تراكمت تحت أحجار كعبة الله.. ونقوا البئر التي في ساحة باب الندوة وكان ماء هذه البئر مشابهاً لماء زمزم[30]"

ويمتد هذا المنهج إلى وصفه لبئر زمزم والمنشآت المرتبطة بها، حيث يورد تفاصيل تتعلق بأعمال التنظيف والتجديد، وسحب المياه المتراكمة، وتنقية الآبار المجاورة، مع تسجيل ملاحظات دقيقة عن طبيعة المياه، وهو ما يعكس اعتمادًا مباشرًا على المشاهدة

[25] موسوعة مرآة الحرمين: انظر على سبيل المثال 179/1، 347/1، 224/2 وغيرها.
[26] موسوعة مرآة الحرمين 248/1
[27] موسوعة مرآة الحرمين 810/2
[28] موسوعة مرآة الحرمين، 933/4
[29] موسوعة مرآة الحرمين 485/1
[30] موسوعة مرآة الحرمين 484/1

2026 @ Copyright

والمعاينة أثناء تسجيل هذه الأخبار.

ولا تقتصر المعاينة عند أيوب صبري باشا على المعالم العمرانية، بل تشمل كذلك الممارسات الاجتماعية والدينية المرتبطة بالأماكن المقدسة؛ إذ يرصد بعض العادات والمعتقدات الشعبية، مع التزامه بالأمانة العلمية في التفريق بين ما شاهده بنفسه وما نُقل إليه. ويتجلى ذلك بوضوح في حديثه عن حفرة المدشونية، حيث يصرّح بأنه لم يوفق في زيارتها، لكنه شاهد بعض الناس يأخذون من ترابها ويوزعونه على الحجاج، وهو تصريح يكشف عن وعي منهجي قائم على التمييز بين المشاهدة المباشرة والرواية المنقولة، مما يعزز القيمة العلمية للمادة التي يقدمها [31]

ويظهر اعتماد المؤلف على المعاينة الدقيقة أيضًا في وصفه التفصيلي للمسجد النبوي الشريف، ولا سيما حجرة السعادة المعطرة، حيث يورد عدد أبوابها، وأسمائها، وعدد القناديل والشمعدانات، ووظائف الخدم، ونظم الحراسة، وهي تفاصيل تنظيمية ومعمارية يصعب ضبطها اعتمادًا على النقل وحده دون مشاهدة مباشرة[32]

كما يتضح ذلك في تعريفه بالمقصورة، وبيان مواضعها وتاريخ إحداثها، وهو وصف قائم على إدراك مباشر لطبيعة المكان ووظيفته[33]

وتبرز المعاينة الميدانية كذلك في عرضه لأعمال التوسعة والتجديد في المسجد النبوي، وتسجيله للوقائع المصاحبة لها، من ولائم رسمية، ونقوش تذكارية، وخلافات بين الأهالي والسلطة حول تغيير الأعمدة أو الإبقاء عليها، مع نقل وجهات النظر المختلفة وتحليلها في ضوء الواقع المعماري القائم، وهو ما يدل على تداخل المشاهدة بالملاحظة التاريخية والسياسية[34] .

ويظهر اعتماد أيوب صبري باشا على المشاهدة والمعاينة المباشرة بجلاء في وصفه للمراسم الرسمية ذات الطابع الديني والسياسي التي كانت تُقام في المسجد الحرام، ولا سيما مراسم استقبال الأوامر السلطانية وتعيين ولاة الحجاز. إذ لا يكتفي بسرد هذه المراسم بوصفها أخبارًا منقولة، بل يصرّح بحضوره الشخصي لها، مؤكدًا أنه شاهدها بنفسه، كما في قوله إنه حضر سنة 1289هـ مراسم قراءة الأمر السلطاني السني المتضمن تعيين محمد باشا واليًا على الحجاز[35] .

وتكشف هذه الرواية عن وصف تفصيلي قائم على المعاينة الدقيقة لمجريات الحدث، من حيث المكان والتنظيم والبروتوكول الرسمي؛ إذ يحدد موضع الاجتماع أمام المقام الحنبلي بين الحجر الأسود وبئر زمزم، ويرصد تجمع أهل مكة وانتظارهم لقدوم شريفها، ثم يصف دخول الشرفاء والولاة محاطين برجال الشرطة وضباط الجيش، في مشهد يتسم – بحسب وصفه – بالعظمة والاحتشام والنظام[36].

كما تتجلى دقة المشاهدة في وصفه لمراسم قراءة الأمر السلطاني، حيث يذكر وضع الكرسي بين البيت المعظم وبئر زمزم، وقراءة الأمر أولًا باللغة العربية ثم باللغة التركية، وتوزيع الخلع الفاخرة على مفتي المذاهب الأربعة والعلماء الحاضرين. ولا يكتفي بذلك، بل يرصد تسلسل المراسم بعد القراءة، من اعتلاء أحد العلماء الكرسي للدعاء، وفتح باب الكعبة أثناء القراءة والدعاء، واتجاه القارئ والداعي نحو مقام إبراهيم، مع تحديد موضع الكعبة وبئر زمزم بالنسبة لهما، وهي تفاصيل مكانية دقيقة لا يمكن ضبطها إلا بالمشاهدة المباشرة.

ويمتد وصفه إلى ختام المراسم، حيث يسجل طواف الحاضرين ورجال الحكومة بالبيت المعظم، ومشاركة الشريف عبد الله باشا والوالي الجديد في الطواف، وهو ما يعكس حرص المؤلف على تتبع الحدث من بدايته إلى نهايته، دون الاكتفاء بالإشارة العامة إليه.[37]

وتبرز القيمة المنهجية لهذا المثال في أنه لا يقتصر على تسجيل الحدث في ذاته، بل يقدم وصفًا يجمع بين البعد الديني والسياسي والاجتماعي للمراسم، مع تحديد دقيق للأمكنة، والأشخاص، وتسلسل الأفعال، وهو ما يؤكد أن أيوب صبري باشا لم يكن مجرد ناقل للأخبار، بل شاهدًا مشاركًا في توثيق الحياة الدينية والإدارية في الحرمين الشريفين. كما أن إيراده لبعض التعليقات التوضيحية

---

[31] موسوعة مرآة الحرمين، 971/4
[32] موسوعة مرآة الحرمين، 971/4
[33] موسوعة مرآة الحرمين، 277/3
[34] موسوعة مرآة الحرمين، 695/2
[35] موسوعة مرآة الحرمين، 696/2
[36] موسوعة مرآة الحرمين، 696/2
[37] موسوعة مرآة الحرمين، 696/2

والاختلافات في تحديد الشخصيات التاريخية المرتبطة بالحدث يدل على وعي نقدي يرافق المشاهدة ولا ينفصل عنها.

المبحث الثالث: الرواية الشفوية والتحقق منها

إلى جانب اعتماده على المصادر المكتوبة والمعاينة المباشرة، أفاد أيوب صبري باشا من الرواية الشفوية بوصفها مصدرًا مكملًا لمادته التاريخية، ولا سيما ما تلقّاه من كبار السن وأهل الخبرة من سكان الحرمين والمناطق المرتبطة بهما. وقد أشار صراحة إلى هذا المنهج، موضحًا أنه كان يسأل المعاصرين له ويستوثق من أخبارهم، ثم يضم هذه الروايات إلى ما جمعه من نصوص مكتوبة، ساعيًا إلى الجمع بين الرواية الشفوية والمصدر المدون[38]

ويعكس هذا التوجه إدراك المؤلف لأهمية الذاكرة المحلية في حفظ تفاصيل تاريخية وعمرانية قد لا ترد في المصادر المكتوبة، خاصة ما يتعلق بالآثار القديمة والمنشآت التي اندثرت أو تغيرت معالمها. ومن ذلك ما يورده نقلًا عن بعض المكيين بشأن بقايا الجدران القديمة، حيث يقول:"وقد أخبر بعض المكيين أن هناك بعض خرائب الجدران التى تعد من الآثار العتيقة، كما أكد ذلك تاريخ «قطب مكي» وقيل إن هناك خرابة جدار عتيق بجانب السبيل الفخم الذي أنشأه السلطان «سليمان خان» ابن السلطان سليم خان، جانب جدول حسنين، إلا أنه لم يبق فى عصرنا الحالي سوى المباني القديمة للسبيل المذكور"[39]

كما تتجلى قيمة الرواية الشفوية في توثيقه لبعض الشعائر والعادات المرتبطة بخدمة الحجاج، ولا سيما نظام الرفادة، حيث ينقل شهادة المؤرخ تقي الفاسي، ويعضدها بمشاهدته الشخصية، فيقول:"حكى المرحوم تقى الفاسي من مؤرخي مكة المكرمة ومن الذين شاهدوا رأى العين إقامة سماط الرفادة وكتب فى كتابه «تاريخ مكة» وقال: كانت الرفادة في الجاهلية وفى صدر الإسلام وأوائل الدول الإسلامية من الأصول المقررة والمرعية وقد رأيت أنا أيضا إقامة موائد الرفادة. كان الطعام الذي سيقدم إلى فقراء الحجاج يطبخ في صحراء منى السعيدة ويطعم الحجاج إلى نهاية الحج، وذلك بناء على أوامر السلاطين وقد ألغى هذا النظام فيما بعد، ولكنني لا أعرف تاريخ إلغائه ولا أتذكر في عهد من من الحكام قد ألغى"[40]

ويظهر اعتماد أيوب صبري باشا على الرواية الشفوية مقرونًا بالتحقق الزمني والمقارنة الخبرية في وصفه لطريق الوادي بين جدة ومكة، وما ارتبط به من تصورات عمرانية واجتماعية. ففي حديثه عن هذا الطريق، يقدّم وصفًا تفصيليًا لطبيعته الجغرافية والمناخية، ثم ينتقل إلى طرح تصور عمراني مستقبلي، قبل أن يعود لاحقًا للتحقق مما بلغه من أخبار تؤكد تحقق بعض ما تصوره. يقول:"هناك طريق فخم من جدة إلى مكة يسمى "طريق الوادي"... وإذا ما بذرت على قمم تلك الجبال المائلة نحو الوادي البذور أنبتت أشجارا تتحمل الحرارة... وتبرد طريق الوادي وتزين طرفيه...وكنت تصورت هذه الرغبة فى سنة (1289) وبناء على الأخبار التي وصلت سنة (1304) علمت أن شخصا يسمى السيد عمر سقاف بنى على القمم التي في ناحية جدة... دائرة مكملة متينة..."[41]

وتكشف هذه الرواية عن منهج في التعامل مع الخبر الشفوي؛ إذ يبدأ المؤلف بتصوّر شخصي نابع من المعاينة والتأمل، ثم يتلقى أخبارًا لاحقة من رواة ومعاصرين تؤكد تحقق هذا التصور على أرض الواقع، فيسجلها موثقة بزمنها وأشخاصها، مع إيراد أوصاف مقارنة تُظهر الفارق بين الروايات والمشاهدات، بل ويعمد أحيانًا إلى المبالغة المقصودة في التشبيه لإبراز التفاوت العمراني، كما في مقارنته بين مباني الأغنياء.

ولا يخفى في هذا السياق أن أيوب صبري باشا لا يخضع الرواية الشفوية لنقد إسنادي صارم على نحو ما هو معهود في كتب الحديث أو التاريخ التقليدي، إلا أنه يعوض ذلك بآليات تحقق بديلة، تتمثل في: المقارنة الزمنية، وربط الرواية بالواقع المشاهد، وتحديد الأشخاص والأماكن، والإشارة الصريحة إلى مصدر الخبر، أو إلى كونه مجرد تصور سابق تحقق لاحقًا بالأخبار.

وعليه، فإن الرواية الشفوية عند أيوب صبري باشا لا تأتي بوصفها خبرًا معزولًا، بل تدخل ضمن بناء توثيقي، تتكامل فيه مع المصادر المكتوبة والمعاينة المباشرة، وتسهم في رسم صورة شاملة للحياة العمرانية والاجتماعية والدينية في الحرمين الشريفين والمناطق المتصلة بهما خلال عصره.

[38] موسوعة مرآة الحرمين، 39/2
[39] موسوعة مرآة الحرمين 96/1
[40] موسوعة مرآة الحرمين 315/1
[41] موسوعة مرآة الحرمين، 138/5

2026 @ Copyright

الفصل الثالث: منهجه في ترتيب الكتاب وبنائه الداخلي

لم يقم بناء كتاب «مرآة الحرمين الشريفين وجزيرة العرب» عند أيوب صبري باشا على مجرد الجمع أو الترتيب، بل تأسس منذ البداية على تصور منهجي سابق لعملية التأليف، يتبدّى بوضوح في عبارات المؤلف الصريحة التي تكشف عن وعي تنظيمي متقدم.

ويصرّح المؤلف بذلك التنظيم البنائي تصريحًا مباشرًا حين يشرح طريقته في عرض مادته، فيقول: «جعلتُ الكلام على مرآةٍ، ثم قسمتُها إلى وجهات، وجعلتُ كل وجهةٍ مشتملةً على صور"[42] ، وقد قام بذلك ليكون الانتقال في المطالعة على نسقٍ لا يوقع القارئ في خلطٍ ولا اضطراب، ويكشف هذا التنظيم عن إدراك المؤلف لمشكلة كثرة المعلومات وتنوعها، وسعيه إلى إحكام السيطرة عليها ببناء هرمي متدرج يمنع التداخل والاضطراب.

ويؤكد هذا الوعي المنهجي أن أيوب صبري لا يكتب كتابة سردية محضة، بل يقدّم عملًا موسوعيًا يقوم على التخطيط المسبق، ويجعل من التنظيم جزءًا من الدلالة العلمية للنص، لا مجرد إطار شكلي خارجي.

المبحث الأول: التقسيم العام للكتاب:

يعتمد أيوب صبري باشا تقسيم كتابه إلى ثلاثة أقسام كبرى، يصرّح بها في أكثر من موضع، وهي: مرآة مكة، ومرآة المدينة، ومرآة جزيرة العرب. ويقول موضحًا هذا التقسيم:" وقسمت أثرى هذا القاصر إلى ثلاثة أقسام وسميته ب (مرآة الحرمين)" [43]، وجاء هذا التقسيم في ثلاث مرايا، أولها لمكة المشرفة، وثانيها للمدينة المنورة، وثالثها لجزيرة العرب، ليحيط النظر بمراكز القداسة وما يكتنفها

أولًا: مرآة مكة:

يفتتح المؤلف كتابه بمرآة مكة، ويعلل هذا التقديم تعليلًا دينيًا ومنهجيًا في آن واحد، إذ يقول: «وكان الابتداء بذكر أم القرى أولى، إذ هي قبلة الإسلام ومهوى أفئدة الأنام»[44]، ويعتمد في هذا القسم على الجمع بين التاريخ والوصف والمعاينة المباشرة، كما يصرّح بقوله: «رأيتُ بعيني ما آل إليه بناء البيت المعظم، وما أُدخل عليه من إصلاحات، فذكرتُ ذلك ضبطًا للواقع»[45]

وقد جاءت مرآة مكة في سبع وجهات، احتوت الوجهة الأولى على خمسة صور تتعلق بتعريفات أحوال مكة المعظمة الجغرافية الأولية، وأوضاع بيوتها وأشكال دورها وهيئاتها وأحوال إيجار بيوتها والمسائل المهمة حول مجاورة البيت، كذلك درجات حرارتها وبرودتها وسبب إطلاق اسم الكعبة على البيت الشريف وفضائل الكعبة الجليلة وخواصها وتعريف حدودها بالتفصيل[46].

وجاءت الوجهة الثانية في تفاصيل بناء مكة وعمارتها ومن بناها وأسباب تجديدها وتعميرها وإنقاص مساحتها وتوسيعها[47]، حتى انتهى للوجهة السابعة في تعريف الأماكن المقدسة والمساجد القديمة والمواضع الأخرى، وأوقات استجابة الدعاء [48]

ثانيًا: مرآة المدينة:

ينتقل المؤلف إلى مرآة المدينة موضحًا سبب ذلك بقوله: «ولما كانت المدينة تالية لمكة في الفضل والزيارة، أفردتُ لها مرآةً جامعة لأحوالها»[49]

وقد جاءت مرآة المدينة في ثماني عشرة وجهة، جاءت الوجهة الأولى في تعريف الأحوال الجغرافية للمدينة المنورة، وعادات أهلها، والوجهة الثانية فى شد الرحال إلى المدينة وزيارة المسجد الشريف

---

[42] موسوعة مرآة الحرمين، 62/1
[43] موسوعة مرآة الحرمين، 58/1
[44] موسوعة مرآة الحرمين، 57/3
[45] موسوعة مرآة الحرمين، 59/3
[46] موسوعة مرآة الحرمين، 60/1
[47] موسوعة مرآة الحرمين، 157/1
[48] موسوعة مرآة الحرمين، 58/1
[49] موسوعة مرآة الحرمين، 5/2

وفضل المجاورة بالمدينة وفضل المنبر والروضة الشريفة، والوجهة الثالثة فى تعريف أسماء المدينة، وفضائلها وبعض أحكامها، والوجهة الرابعة في أوائل حال المدينة المنورة وسكانها وما كان بينهم من حروب قبل الإسلام، والوجهة الثامنة عشرة فيما ينسب إلى النبى صلى الله عليه وسلم من الأوقاف الشريفة والمساجد التى بين الحرمين والمساجد التى أدى فيها الصلاة فى أثناء الغزوات، وختمت بالوجهة التاسعة عشرة فى ذكر أودية وأحراش وجبال وأماكن تنسب إلى المدينة.

ثالثًا: مرآة جزيرة العرب:

يوسّع أيوب صبري نطاق البحث بقوله: «ولما كان فهم أحوال الحرمين لا يتم إلا بمعرفة ما حولهما من البلاد والقبائل، ألحقتُ بذلك مرآة جزيرة العرب»[50]

وقد جاءت مرآة الجزيرة العربية في خمس وجهات، كانت الوجهة الأولى في ذكر أنساب العرب وأحوال قبائلها وملوكها قبل الإسلام، والثانية فى ذكر الخلفاء والملوك المسلمين الذين ظهروا فى جزيرة العرب بعد ظهور الإسلام، وختم الوجهات بالوجهة الخامسة فى بيان القبائل العربية الساكنة فى الأقطار الحجازية

المبحث الثاني: نظام (المرآة – الوجهة – الصورة) وترتيب الموضوعات داخل الأجزاء

يقول المؤلف: «جعلتُ المرآة أصلًا، والوجهة فرعًا، والصورة تفصيلًا، ليكون لكل معنى موضعه»[51]

ولذلك جاء الترتيب الداخلي لكل جزء من الأجزاء الثلاثة لكتاب (مرآة الحرمين والجزيرة العربية) مقسَّمًا كالآتي: (مرآة مكة ـ مرآة المدينة ـ مرآة جزيرة العرب)، فتكوَّنت ثلاثة أقسام، كلٌّ منها ينقسم تقسيماً داخلياً إلى ما يسميه المصنِّف: الوجهة والصورة، بحيث تحتوي كل وجهة على عدد معيَّن من الصور. ودلالة كلمة (المرآة) ليست ببعيدة عن دلالة كلمتي (الوجهة) و(الصورة).

ترتيب الموضوعات داخل الأجزاء

أولًا: التدرج من العام إلى الخاص بوصفه أصلًا منهجيًا: يصرّح أيوب صبري باشا تصريحًا لا لبس فيه بالمنهج الذي التزمه في ترتيب موضوعاته داخل كل جزء من أجزاء الكتاب، إذ يقول: «أذكر أولًا جملة الحال، ثم أُفصِّل ما يحتاج إلى تفصيل»[52] ، ويُعد هذا النص مفتاحًا منهجيًا لفهم البنية الداخلية للكتاب، إذ يدل على أن ترتيب المادة لم يكن عفويًا، وإنما خضع لتدرج مقصود يبدأ بالكليات ثم ينتهي إلى الجزئيات.

ويتجلى هذا المنهج بوضوح في الوجهة الأولى من مرآة مكة، حيث يفتتحها المؤلف بما سمّاه «إفادة مخصوصة» يعقبها «الخلاصة» قبل أن ينتقل إلى تفصيل عناصر البيت الحرام جزءًا جزءًا، مثل قوله: «بيت الله (الكعبة)... الملتزم... المستجار... الحجر الأسود... داخل الكعبة... حجر إسماعيل»[53] ، ويكشف هذا الترتيب أن المؤلف يبدأ بإطار عام ثم يجزّئ الموضوع إلى عناصره الدقيقة، في بناء متدرج يحفظ للقارئ وحدة التصور.

ولا يقف هذا التدرج عند حدود الوصف المكاني، بل يمتد إلى الترتيب التاريخي؛ إذ ينتقل بعد الوصف العام إلى القضايا التاريخية الكبرى، مثل قوله في موضع لاحق: «استيلاء طائفة القرامطة على مكة»[54] ،بعد أن يكون قد مهّد لذلك بالتعريف بالمكان وسياقه الديني والاجتماعي.

ثانيًا: قراءة فهرس مرآة مكة بوصفه وثيقة منهجية: لا يمكن فهم منهج أيوب صبري في ترتيب موضوعاته دون الوقوف مطولًا عند فهرس مرآة مكة، الذي لا يؤدي وظيفة إرشادية فحسب، بل يكشف عن تصور المؤلف لبنية المعرفة. فالفهرس يبدأ بتحديد الوحدات الكبرى (الوجهة، ثم الصورة)، ثم يدرج تحتها موضوعات تتدرج من الجغرافيا إلى التاريخ، ومن العمران إلى العقيدة.

ففي الصورة الأولى مثلًا، يورد المؤلف: «التعريف بالأحوال الجغرافية للبلدة المعظمة مكة المكرمة»، ثم يتبع ذلك بموضوعات

[50] موسوعة مرآة الحرمين، 7/3
[51] موسوعة مرآة الحرمين، 53/1
[52] موسوعة مرآة الحرمين، 60/1
[53] موسوعة مرآة الحرمين، 63:61/1
[54] موسوعة مرآة الحرمين، 100/1

2026 @ Copyright

من قبيل: «أديان العرب في الجاهلية»، و«أسماء مكة الله السامية»، و«سبب إطلاق هذه الأسماء على الكعبة»[55] ، ويكشف هذا الترتيب عن الجمع المقصود بين المكان والإنسان، وبين الجغرافيا والعقيدة، في إطار واحد.

ويؤكد المؤلف هذا المنهج صراحة حين يقول: «فالتاريخ لا يُفهم إلا بمعرفة الموضع، ولا يُعرف الموضع إلا بما جرى فيه»[56] ، ويُعد هذا النص تصريحًا نظريًا بالأساس الذي بنى عليه ترتيبه للموضوعات، حيث لا يُقدَّم الحدث التاريخي مفصولًا عن سياقه المكاني.

ثالثًا: التوسع والاستطراد: يقرّ أيوب صبري باشا صراحة بوقوع التكرار والاستطراد في كتابه، غير أنه يقدّمهما بوصفهما اختيارًا منهجيًا لا خللًا في البناء، إذ يقول: «وقد يُعاد المعنى لاختلاف المقام، أو لزيادة البيان»[57] ، ويكشف هذا النص عن وعي المؤلف بوظيفة التكرار في الكتابة الموسوعية، حيث تختلف زاوية النظر إلى الموضوع الواحد بتغير السياق.

ويتجلى هذا الاستطراد بوضوح في معالجة المؤلف لمسألة الذبيح، التي يوردها ضمن سياق الحديث عن بناء الكعبة وتاريخ مكة، فيقول: «ومن الأشياء الهامة التي تعرض لها المؤلف **في هذا الفصل اختلاف العلماء في مسألة الذبح... وبعد أن يقارن بين أقوال الشيوخ** والعلماء يقر في النهاية الرأي الراجح وهو أن الذبيح كان سيدنا إسماعيل»[58] ، ثم يعود في موضع آخر إلى تفصيل الأقوال، فيسرد أسماء الصحابة والتابعين القائلين بأن الذبيح هو إسماعيل عليه السلام[59] .

ولا يكتفي المؤلف بسرد الأقوال، بل يقدّم تعليلًا عقليًا وتاريخيًا، إذ يقول: «إن كون إسماعيل عليه السلام المقصود بالذبيح قد بلغ إلى درجة اليقين بالأدلة العقلية... لأن سيدنا إسحاق لم يقطن مكة والكعبة المعظمة وكان مقيما في الشام»[60]، ويكشف هذا النص عن منهج يجمع بين الرواية والنظر العقلي، ويُدرج النقاش العقدي ضمن سياق تاريخي مكاني.

ويعود المؤلف إلى تفصيل القصة نفسها في صورة مستقلة بعنوان «كيفية حدوث قصة الذبح الجليلة»، ناقلًا عن كعب الأحبار قوله: «أن الله سبحانه وتعالى قد أمر حضرة الخليل... أن يذبح إسماعيل عليه السلام قربانا»[61]، ويُظهر هذا التكرار المقصود أن المؤلف يعالج الموضوع الواحد من زوايا متعددة، بحسب المقام الذي يرد فيه.

رابعًا: وحدة البناء رغم كثرة المادة على الرغم من الامتداد الكبير في الموضوعات وتعدد الصور والوجهات، يؤكد أيوب صبري باشا وحدة البناء الداخلي للكتاب، حين يقول: «هذه المرايا الثلاث بمنزلة صورة واحدة، إذا نُظر إلى بعضها دون بعض اختل الفهم»[62] ، ويكشف هذا التصريح أن ترتيب الموضوعات داخل الأجزاء، مهما بدا متشعبًا، يظل خاضعًا لتصور كلي يحكم العمل بأسره.

وبذلك يتضح أن ترتيب الموضوعات في «مرآة الحرمين» ليس مجرد ترتيب زمني أو مكاني، بل هو بناء معرفي متكامل، يجمع بين الجغرافيا والتاريخ، والوصف والمعاينة، والرواية والتحليل، في إطار موسوعي واعٍ يهدف إلى إحاطة شاملة بموضوع الحرمين الشريفين وجزيرة العرب.

كما يعتمد أيوب صبري باشا التدرج من الكلي إلى الجزئي، ومن المجمل إلى المفصل، وقد أكد على ذلك الدكتور محمد حرب في مقدمته للكتاب قائلا: «وقد أُعيد ذكر بعض الأمور في مواضع متعددة، لا تكرارًا محضًا، بل لاختلاف المقام وزيادة البيان»[63]

ويُعد هذا الذي صرح به الدكتور حرب تحليلا منهجيًا يبرر ظاهرة التكرار داخل الكتاب، بوصفها تكرارًا وظيفيًا يخدم اختلاف السياق.

كما يلتزم المؤلف الربط بين الموضوعات المتجاورة، فيُحيل من موضع إلى آخر، ولهذا تكرر قوله :(كما سيأتي تفصيله فيما بعد،

---

[55] موسوعة مرآة الحرمين، 83:71/1
[56] موسوعة مرآة الحرمين، 71/1
[57] موسوعة مرآة الحرمين، 72/1
[58] موسوعة مرآة الحرمين، 234/1
[59] موسوعة مرآة الحرمين، 239/1
[60] موسوعة مرآة الحرمين، 241/1
[61] موسوعة مرآة الحرمين، 247/1
[62] موسوعة مرآة الحرمين، 82/1
[63] مقدمة موسوعة مرآة الحرمين، 11/1

وسيأتي ذكر ذلك مفصلًا، أو سيأتي ذكره أو ذكرها، كما سيأتي تعريفه فيما بعد، كما سيأتي بيانه) [64]،كما في قوله: «وسيأتي ذكر ذلك مفصلًا في الوجهة الآتية»[65] ، وكما جاء في حديثه عن أبرهة الحبشي قائلا: "قد أراد «أبرهة» الوثني من حكام اليمن وقد جمع حوله بعض القبائل وأقدم على هدم وتخريب كعبة الله المعظمة-كما سيأتي تفصيله فيما بعد"[66]، وكذلك في حديثه عن المدارس الأربع التي بناها السلطان سليمان خان[67].

الفصل الرابع: منهجه في العرض والتوثيق

يمثل منهج العرض والتوثيق في كتاب **"مرآة الحرمين الشريفين وجزيرة العرب"** العمود الفقري للبناء العلمي للمصنَّف، إذ لا يقدّم أيوب صبري باشا مادته التاريخية على هيئة أخبار متتابعة فحسب، بل يحرص على إظهار مصادرها، وبيان طرائق الإفادة منها، والتنبيه إلى ما يحيط بها من خلاف أو ضعف أو ترجيح. ويكشف هذا المنهج عن وعي المؤلف بطبيعة الكتابة التاريخية، وبالفارق الجوهري بين مجرد السرد وبين التحقيق والوصف التاريخي القائم على التمحيص.

ولا ينفصل العرض عنده عن التوثيق، بل يندمجان اندماجًا؛ فالنص المعروض يحمل في داخله أدوات نقده، سواء عبر التصريح بالمصدر، أو عبر الإشارة إلى اختلاف الأقوال، أو من خلال التعليق والترجيح، وهو ما يمنح الكتاب قيمة علمية تتجاوز زمن تأليفه.

المبحث الأول: الأسلوب العلمي في الكتابة

أولًا: وضوح اللغة

يتّسم أسلوب أيوب صبري باشا بوضوح مقصود، لا ينشأ عن فقرٍ لغوي، بل عن اختيارٍ منهجي واعٍ، يهدف إلى جعل النص التاريخي أداةً للإفهام لا مجالًا للاستعراض البلاغي. ويتجلى هذا الوضوح منذ الصفحات الأولى، حينَ يشرح المؤلف ظروف تأليف الكتاب، واختياراته اللغوية والعلمية شرحًا تفصيليًا طويلًا، فنراه يقول: «وحاولت أن تكون لغتي واضحة وعباراتي سلسلة على قدر الإمكان»[68]

ويتضح ذلك أيضا في قوله: "وأخذ المطلعون على أحوال الحرمين الشريفين المقانع من أصحاب الوجد يرجونني قائلين: "لتلبس تلك الحسناء العربية ملابس الفتاة الرومية"، آخذا من كتاب الإمام السمنودي خلاصة الوفاء بأخبار دار المصطفى هذا الكتاب الذي انتشر فى أرجاء العالم الأربعة حاويا الأفكار البديعة والأخبار الشيقة مستمدا منه مادتي العلمية اللازمة لكتابتي، مضيفا إليه معلوماتي الشخصية وما حصلت عليه من الأخبار من تحقيقاتي الذاتية..."[69]

ويُظهر هذا النص – بطوله وتفصيله – نزوع المؤلف إلى البيان لا الإيجاز، وإلى الشرح لا الإبهام. فهو يوضح للقارئ: سبب اختيار اللغة. مصدر المادة العلمية. طبيعة الإضافة الشخصية.

ويُعد هذا من أوضح مظاهر **الأسلوب العلمي التقريري**، حيث لا يترك المؤلف القارئ ليستنتج منهجه، بل يصرّح به تصريحًا مباشرًا.

كما يستمر هذا الوضوح في تصوير فعل التأليف نفسه، واعتداده بمؤلَفِه الذي يكتسب قيمته من طبيعة الموضوع الذي يتناوله، فنرى ذلك الاعتداد حين يقول:"وبهـذا ألبست تلك المحبوبة الجميلة ما قمت بتفصيله من الزي العثماني..... وبما أنه سيعكس أنوار عيون أصحاب الدين سميته (مرآة المدينة)" [70]

فاللغة هنا – رغم ما فيها من تشبيه – لا تُفضي إلى غموض، بل تخدم فكرة مركزية، هي نقل المعرفة إلى إطار لغوي مفهوم لجمهور أوسع.

---

[64] تكرر ورود هذه الصيغ تسع عشرة مرة، انظر على سبيل المثال، 669/2، 468/4، 506/4، 552/4.
[65] موسوعة مرآة الحرمين، 78/3
[66] موسوعة مرآة الحرمين، 399/1
[67] موسوعة مرآة الحرمين، 568/2
[68] موسوعة مرآة الحرمين، 57/1
[69] موسوعة مرآة الحرمين، 8/3
[70] موسوعة مرآة الحرمين، 8/3

2026 @ Copyright

ثانيًا: البعد عن التعقيد

يبتعد أيوب صبري باشا عن التعقيد الاصطلاحي، ويحرص على بناء الجملة بناءً متوسط الطول، واضح العلاقة بين أجزائه، وهو ما يظهر بجلاء في المقاطع الوصفية والعلمية، خاصة حين يناقش قضايا حساسة كالأوبئة والمنشأ الجغرافي للأمراض.

ويظهر هذا بوضوح في مناقشته لمسألة الطاعون، حيث لا يلجأ إلى مصطلحات طبية غامضة، بل يعرض الرأي، ثم يناقشه بأسلوب مفهوم، كما في قوله:"ثم يتردد في تصديق ما قاله أطباء أوربا الحذاق: من أن منشأ مرض الطاعون هو الهند وهذا ثابت قطعيا..."
...وعندما أثبت "جاقود"... أن مرض الطاعون المخيف يظهر في أراضي الهند... وقد صدق أطباء الإسلام بلا تردد ما جاء في ذلك الكتاب وقرروا أن منشأ ظهور مرض الطاعون الهند"[71]

فالجمل هنا: مباشرة. خالية من التراكيب المعقدة. قائمة على التقرير والتعليل. وهو ما ينسجم مع طبيعة الكتابة التاريخية الوصفية.

وهذا ما نراه أيضا في حديثه عن طريق الوادي حيث يقول: "هناك طريق فخم من جدة إلى مكة يسمى «طريق الوادي» وطرفا هذا الطريق فى غاية التنسيق، ويزينهما جبال صغيرة منخفضة، وهذه الجبال مثل جبال الحجاز الأخرى جرداء عارية، ..... وإذا ما بذرت على قمم تلك الجبال المائلة نحو الوادي البذور، أنبتت أشجارا تتحمل الحرارة، وهذه الشجيرات تنمو في فترة قصيرة، وتبرد طريق الوادي، وتزين طرفيه، ويصبح الطريق صالحا للسير فيه ليلا ونهارا، وتصلح الهواء بشكل لا يتصور. [72]

ثالثًا: مخاطبة القارئ مباشرة

من السمات اللافتة في أسلوب أيوب صبري باشا مخاطبته القارئ خطابًا مباشرًا، يهدف إلى إشراكه في عملية الفهم، بل وفي اتخاذ الموقف العلمي. ويتجلى هذا في نبرته التقريرية الناقدة حين يقول: "فما أغرب أن يعتقد فيما قاله أطباء أوربا غير مشهورين... ثم يتردد في تصديق ما قاله أطباء أوربا الحذاق..."[73]

ثم ينتقل من العرض إلى التعليل، ومن التعليل إلى الغاية الإصلاحية، بقوله:"قد رأينا من الواجب ترجمة هذا الرأي آملين بأنه سيكون سببا فى تصحيح أفكار الشباب المسلمين وعقائدهم"[74]، وهذا الخطاب المباشر يُخرج النص من كونه سجلًا تاريخيًا جامدًا، إلى كونه **نصًا معرفيًا حواريًا**، يُحاور قارئه، ويستدعي وعيه، ويشاركه في مسؤولية الفهم.

المبحث الثاني: التوثيق والأمانة العلمية

يحتلّ التوثيق في مرآة الحرمين الشريفين وجزيرة العرب موقعًا مركزيًا في البناء المنهجي للكتاب، إذ لا يكتفي أيوب صبري باشا بعرض الأخبار والروايات، بل يُعنى عناية واضحة بإسنادها، وبيان اختلافها، والتنبيه إلى ما فيها من ضعف أو ترجيح. ويكشف هذا المنهج عن وعي المؤلف بأصول الكتابة التاريخية، وبضرورة الجمع بين النقل والتحقيق، وبين الرواية والنقد.

ولا تظهر الأمانة العلمية عنده في صورةٍ واحدة، بل تتوزع على مظاهر متعددة، من أهمها: ذكر الاختلافات، والاعتراف بالقصور، والتمييز بين الروايات، ثم ممارسة الترجيح القائم على الدليل.

أولًا: ذكر الاختلافات وإبراز التباين بين الأقوال

يحرص أيوب صبري باشا على إيراد الآراء المختلفة في المسألة الواحدة، ولا يُقدّم رأيًا واحدًا بوصفه حقيقة نهائية إلا بعد عرض غيره من الآراء. ويتجلى هذا المنهج بوضوح في تناوله للقضايا التاريخية والعمرانية المتعلقة بالمسجد النبوي، كما في حديثه عن موضع محراب النبي ﷺ، حيث يقول:"قد ذهب بعض الناس من المؤرخين العلماء إلى أن بعض محراب النبي صلى الله عليه وسلم الذي كان يصلى فيه داخل الحجرة الشريفة... ولم يرد دليل قوى يؤيد هذه الرواية... وبناء على هذا فلابد أن يكون المؤرخون

[71] موسوعة مرآة الحرمين، 986/4
[72] موسوعة مرآة الحرمين، 137/5
[73] موسوعة مرآة الحرمين، 986/4
[74] موسوعة مرآة الحرمين، 987/4

مخطئين فى هذا الرأي"[75]

ولا يكتفي أيوب صبري باشا بإيراد هذا الرأي، بل يوضّح ضعفه، ويبيّن غياب الدليل المؤيد له، ثم ينتقل إلى نتيجة نقدية صريحة، بقوله:"فيفهم من أول نظرة أن الرأي الذي ذهب إليه حكم باطل لا يعتمد عليه"[76]

ويكشف هذا النص عن وعي أيوب صبري باشا بالنقد التاريخي، يقوم على:

عرض الرأي المخالف، فحص أساسه، ثم الحكم عليه حكمًا معلَّلًا.

ويظهر المنهج نفسه في تناوله لمسألة المفاضلة بين مكة والمدينة، وهي من القضايا التي كثر فيها الخلاف، حيث يقول:"بعد أن اختلف علماء الأسلاف في هذه المسألة كثيرا... قال الإمام أحمد بن حنبل..... وقال الإمام مالك..... "[77]

ويُلاحظ هنا أن المؤلف: لا يُخفي الخلاف، ولا ينتقي قولًا واحدًا، بل يعرض الآراء مقرونة بأصحابها، في صورة أقرب إلى العرض التحقيقي منها إلى السرد الانتقائي.

ثانيًا: الاعتراف بالقصور العلمي

من أبرز مظاهر الأمانة العلمية عند أيوب صبري باشا اعترافه الصريح بحدود معرفته، وإقراره بإمكان وقوع الخطأ، وهو مظهر نادر في كثير من المؤلفات التاريخية، وإن كان ذلك لا يتنافى مع اعتداده الذي أشرنا إليه بمؤلَفه الذي يرى أنه يستمد قيمته من عنوانه وموضوعه وهو (الحرمين الشريفين والحجاز) كما علق هو نفسه من قبل، ويتجلى ذلك الاعتراف بالقصور العلمي في مقدمته، حيث يقول: " كما أن كتابي هذا الذي لا يخلو من الأخطاء نتيجة لقلة بضاعتي قد يبدو عديم القيمة والأهمية نتيجة لقلة بضاعتي..."[78]

ويحمل هذا النص دلالة منهجية واضحة؛ إذ لا يقدّم المؤلف كتابه بوصفه نصًا معصومًا، بل بوصفه جهدًا بشريًا قابلًا للنقد والمراجعة.

ويؤكد هذا المعنى في موضع آخر، حين يوقّع عمله بتعبير ينمّ عن تواضع علمي ظاهر، إذ يقول:"يقول العبد الفقير مؤلفه..."[79] ولا يقتصر هذا التواضع على العبارات الاصطلاحية، بل يتجلّى أيضًا في المواقف الوجدانية الصريحة التي يصرّح فيها بذاته داخل النص، كما في قوله:"وقد انتابني البكاء – أنا الفقير كاتب هذه الحروف – عند رؤيتي الكعبة المشرفة..."[80]

ويُعد هذا الحضور الذاتي اعترافًا ضمنيًا بأن المؤلف ليس ناقلًا محايدًا فحسب، بل شاهدًا تاريخيًا يعيش التجربة، ويُسجّلها بصدق.

ثالثًا: الترجيح بين الروايات وتصحيح الأخبار

لا يقف أيوب صبري باشا عند حدود عرض الأقوال، بل ينتقل – في مواضع كثيرة – إلى ممارسة الترجيح القائم على الملاحظة والمعاينة أو التحقيق التاريخي. ويتجلّى هذا بوضوح في تصحيحه للمسافات الجغرافية، كما في قوله: "ويروى أن بئر رضوان تبعد عن رابغ ثلاث عشرة ساعة؛ ولكن الصحيح أنها تبعد اثنتي عشرة ساعة فقط"[81]

ويُلاحظ أن المؤلف:يذكر الرواية الشائعة، ثم يبيّن خطأها، ويقدّم التصحيح بصيغة جازمة مستندة إلى التحقيق.

كما يمارس التصحيح الاصطلاحي في تحديد المفاهيم، كما في قوله:"والقول الصحيح أن مكة هو اسم الأماكن المباركة داخل حدود الحرم..."[82]، ويمثل هذا اللون من الترجيح جانبًا مهمًا من المنهج التوثيقي عند المؤلف، إذ لا يترك المصطلحات عائمة، بل

[75] موسوعة مرآة الحرمين، 84/3
[76] موسوعة مرآة الحرمين، 84/3
[77] موسوعة مرآة الحرمين، 95/3
[78] موسوعة مرآة الحرمين، 8/3
[79] موسوعة مرآة الحرمين، 325/5
[80] موسوعة مرآة الحرمين، 138/1
[81] موسوعة مرآة الحرمين، 159/5
[82] موسوعة مرآة الحرمين، 151/1

2026 @ Copyright

يحدّد دلالتها تحديدًا تاريخيًا دقيقًا.

المبحث الثالث: الجمع بين العلوم في عرض المادة

يتسم منهج أيوب صبري باشا في مرآة الحرمين بالشمول والتداخل المعرفي، إذ لا يفصل بين التاريخ والجغرافيا، ولا بين الفقه والعمران، ولا بين الأدب والرحلة، بل يقدّم المادة في صورة شبكة معرفية متكاملة. ويكشف هذا المنهج عن وعيٍ بطبيعة موضوع الحرمين الشريفين، بوصفهما فضاءً دينيًا وتاريخيًا وجغرافيًا في آن واحد.

أولًا: الجمع بين التاريخ والجغرافيا

يجمع المؤلف بين السرد التاريخي والوصف الجغرافي في مواضع كثيرة، ومن أبرزها وصفه للطرق بين جدة ومكة، حيث يقول:"هناك طريق فخم من جدة إلى مكة يسمى طريق الوادي، وقد بذلت فيه الحكومة العثمانية مجهودًا عظيمًا..."[83]، ويُلاحظ في هذا النص أن الوصف الجغرافي لا ينفصل عن البعد التاريخي والإداري، بل يتداخل معه، ليعكس رؤية المؤلف للتنمية والعمران بوصفهما امتدادًا للتاريخ.

كما يقدّم وصفًا عامًا لجزيرة العرب، جامعًا بين الموقع والمساحة والسكان، كما في قوله:"تقع جزيرة العرب فى الجهة الجنوبية الغربية من قارة آسيا، وتبلغ مساحتها..."[84]

ثانيًا: توظيف العلوم الطبية والطبيعية

لا يغفل أيوب صبري باشا إدخال المعارف الطبية والطبيعية ضمن عرضه التاريخي، خاصة حين يناقش الأوبئة والأمراض، كما في قوله:"إن كشوف أطباء أوربا الوهمية أن أراضي الحجاز المقدسة موطن ومولد مرض الطاعون..."[85]، ويُلاحظ أن المؤلف لا ينقل الرأي الطبي نقلًا محايدًا، بل يناقشه وينتقده في ضوء المعطيات التاريخية والدينية.

ثالثًا: الحضور الفقهي في العرض التاريخي

يحضر الفقه في الكتاب حضورًا واضحًا، خاصة في القضايا المرتبطة بالشعائر والمشاهد المقدسة، كما في حديثه عن كسوة الكعبة، حيث يقول:" وقال أئمة المذهب الحنفي: الرأي فى التصرف فى كسوة بيت الله متروك للسلطان ..... وقال الإمام الزركشي وهو من أئمة المذهب الشافعي .... وقال ابن الصلاح هذا الموضوع متروك لرأى ملك ذلك العصر وإرادته ..."[86].

ونجده في أكثر من موضع يستعرض أراء المذاهب الفقهية في العديد من المسائل، ويكشف هذا العرض عن حرص المؤلف على نقل الآراء الفقهية من مصادرها، وعدم الاكتفاء برأي واحد، وربط الفقه بالسياق التاريخي والعمراني:

خامسًا: الأدب بوصفه وثيقة تاريخية وثقافية

لا يحضر الأدب في مرآة الحرمين الشريفين وجزيرة العرب بوصفه إضافة جمالية عارضة، بل يتخذه أيوب صبري باشا أداة توثيقية وثقافية، تسهم في تثبيت الحدث التاريخي، ونقل الروح الدينية والاجتماعية للعصر. فالنص الأدبي عنده – شعرًا كان أو نثرًا – يقوم بوظيفة مزدوجة :التسجيل التاريخي والتعبير الوجداني.

ويظهر هذا المنهج بوضوح في اعتماده على الشعر بوصفه شاهدًا على الوقائع الكبرى، كما في إيراده لشعر عبد المطلب بن هاشم جد الرسول "صلى الله عليه وسلم "عام الفيل، حيث يقول: [87]

قلتُ والأشرمُ تردّى خيله بين وادٍ من تهامةَ ذي شجر

قد رمى اللهُ جموعًا بالفنا إذ أتوا يبغون هدمَ الحجر

[83] موسوعة مرآة الحرمين، 138/5
[84] موسوعة مرآة الحرمين، 121/5
[85] موسوعة مرآة الحرمين، 985/4
[86] موسوعة مرآة الحرمين، 753/2
[87] موسوعة مرآة الحرمين، 411/1

نحن أهل الله في بلدته لما يزل ذلك على عهد أتم

إن للبيت لربا مانعا من يرده بآثام يصطلم

ويُلاحظ أن أيوب صبري يورد النص في سياق حديثه عن حادثة تاريخية مركزية، وهي حادثة أصحاب الفيل، فجعل الشعر وسيلة لتكثيف الحدث وتثبيته في الذاكرة التاريخية.

كما احتفظت الموسوعة بقصائد كاملة من الشعر العثماني في مدح النبي (صلى الله عليه وسلم)، فيقول: «وقد حصلنا على نسخة من القصيدة الوصفية التي تحتوي على محاسن مسجد السعادة وآثاره المسعودة ومدائحه والتي ألقاها إبراهيم كاظم باشا من أجلة شعراء العصر في مواجهة العتبة النبوية ورأينا تذييلها لهذه الصورة تبركا بها. نعت شريف:

بارك الله أيها المعبد يا من عند العرش عتبتك

لا أوحش الله أيها المكرم وفخر الدنيا روضتك

أنت مسجد ، ولكنك قبلة الكعبة وبابك

تحسد الشمس حلقته كما تحسد السماء طاقتك

إنك روضة ولكن النار بجانبها تبدو وشيكا للعيان

إنها شعلة شجر تجلى ورد روضة اللا مكان

يا لها من رياض إلهية وترابها الأقدس

يفخر العرش بوجوده من تراب الأرض إنها أرج الجنة

وسيل دمع العين العاشق الولهان

شمعة تحوم روح جبريل حولها .....»[88]

كما يكثر المؤلف من تضمين النصوص الأدبية في وصف المشاعر والانفعالات الشخصية، كما في مواضع البكاء والخشوع والانكسار أمام المشاهد المقدسة، وهو ما يجعل الكتاب يجمع بين السرد التاريخي والرحلة الأدبية، ويمنحه بعدًا إنسانيًا واضحًا.

وبذلك يمكن القول إن الأدب في مرآة الحرمين: ليس عنصرًا ثانويًا، ولا يُستعمل للزخرفة، بل يؤدي وظيفة توثيقية وتفسيرية، ويُعد شاهدًا ثقافيًا على العصر.

الفصل الخامس: تقييم منهجه وحدود كتابه

بعد عرض منهج أيوب صبري باشا في التنظيم والعرض، يقتضي البحث الوقوف على أبرز نقاط القوة في هذا المنهج، مع تسجيل الملاحظات المنهجية عليه في ضوء طبيعة التأليف الموسوعي في القرن التاسع عشر، والمعايير العلمية المتاحة في عصره، دون إسقاط أحكام معاصرة إسقاطًا تعسفيًا.

المبحث الأول: نقاط القوة في منهجه

أولًا: الشمول

يُعد الشمول من أبرز سمات منهج أيوب صبري باشا، إذ لا يقتصر كتابه على جانب واحد من جوانب دراسة الحرمين الشريفين، بل يجمع بين التاريخ والسياسة والعمران والاجتماع، ويقدّم صورة كلية مترابطة.

[88] موسوعة مرآة الحرمين، 206/3

2026 @ Copyright

ويتجلّى هذا الشمول بوضوح في حديثه عن العلاقة بين الحرمين والدولة العثمانية، حيث يقول:" ترفع الرايات – رمز سطوة الدولة العثمانية – فوق المباني العسكرية والقلاع ولم ترفرف عليها فى الحرمين الشريفين...وبناء على هذا الرأى الصائب قد قرر السلطان عبد العزيز فى أواسط حكمه رفع الراية العثمانية فوق معسكرات مكة المكرمة، والمدينة المنورة وفوق قلاعهما مثل سائر البلاد التابعة للدولة العثمانية..."[89]

ولا يكتفي المؤلف بعرض القرار السياسي، بل يربطه بالسياق الدولي، كما في حديثه عن القنصليات الأجنبية في جدة: "...اتخذ الإنجليز والفرنسيون والروس والبرتغاليون والهولنديون... قنصليات فى جدة لخدمة رعاياهم فى ظاهر الأمر وقضاء مصالحهم، ولكنها فى الحقيقة للتجسس"[90] ويكشف هذا النص عن شمول الرؤية السياسية والتاريخية،وعلى إدراك لدور هذه القنصليات في محاولة تفتيت الدولة العثمانية.

ثانيًا: الدقة

تظهر الدقة المنهجية في تسجيل التفاصيل الدقيقة، سواء في الطقوس أو العمارة أو المقاييس، كما في وصفه لمراسم استقبال الهدايا السلطانية:"وقد أصبحت استقبال الهدايا السلطانية المرسلة إلى كعبة الله بكل توقير وحفاوة عظيمة في حكم العادة... وقد حضرت أنا جامع حروف هذا المؤلف فى سنة 1289 مراسم قراءة الأمر السلطاني السني..."[91]

وتتجلى الدقة كذلك في استخدام المقاييس وتحويلها، كما في قوله:"...اختبرت كثيرا من الأذرع... فوجدتها مساوية لسبع عشرة بوصة إنجليزية... وبهذا التقدير يقتضي أن يكون الطول الشرقي للكعبة المعظمة 44 قدمًا و6 بوصات..."[92]

كما تمتد هذه الدقة إلى التفاصيل التعبدية والفقهية، كما في قوله: "يوم الوقفة هو اليوم التاسع من ذي الحجة... وبناء على القول الصحيح المنقول عن الإمام النيسابوري..."[93]

وكذلك في حديثه عن خدم المسجد النبوي ،حيث يقول:" وكان للمسجد الشريف قديما غير أغوات حجرة السعادة مائة وعشرون شخصا من الخدم والموظفين، وكانوا ينقسمون إلى ثلاثة أقسام هى «البوابون، الفراشون، والكناسون» وكان كل قسم تحت رياسة شيخ ما، كما كان يستخدم ثلاثون شخصا من الخارج يطلق عليهم «وكلاء الخدم» وكان للمسجد الشريف فى تلك الأوقات خمسة وعشرون إماما حنفيا، اثنا عشر إماما شافعيا، وعشرون خطيبا حنفيا، وعشرة خطباء من المذهب الشافعى، وخطيب مالكى وآخر حنبلى، وخمسة وثلاثون مؤذنا، وكان هؤلاء كلهم يؤدون خدماتهم بالمناوبة، ومع مرور الأيام زاد عدد الخدم حتى وصلوا إلى العدد الذى سيرى فى الفهرس الآتى:....." [94] ويعقب ذلك بفهرس مفصل

ثالثًا: كثرة المادة العلمية

تمثل غزارة المادة إحدى أبرز مزايا الكتاب، إذ يضم أوصافًا دقيقة للأدوات والمقتنيات، كما في وصف أطقم البخور داخل الحجرة الشريفة: "عدد (3) أدوات البخور المجوهرة... تتكون من 395 درهم من الذهب..."[95]

ويكشف هذا التفصيل عن قيمة توثيقية عالية، جعلت الكتاب مرجعًا لا غنى عنه للباحثين، ومن ذلك أيضا حديثه عن التداوي عند العرب وعقده لكثير من المقارنات بين الطب البدوي والطب الحديث مثل قوله" وإذا ما تورم عضو من أعضاء أحد الناس وأصيب بالغرغرينة فى الداخل ولم يظهر له فتحة أو رأس عندئذ يشيرون إلى محل التورم بتراب الفحم ثم يدخلون الإبرة الكبيرة التي التهبت فى النار من شدة الحرارة فى سرعة ساحرة فى المكان الذي أشير ويخرجونها وبعد أن تخرج من الداخل التقيحات يصنعون فتيلا من قماش ويدخلونه فى داخل الجرح. ويستعملون هذا الفتيل ما يقرب من ثلاثة أيام وفى اليوم الرابع يضغطون على الجرح إلى أن يخرج الدم الأسود والماء الأصفر. وبعد ذلك يتركون الفتيل ويضعون على الجرح بصلا مقطعا ويستعملون هذا الضماد.

والأطباء في زماننا يستعملون بعض الأدوية ليقضوا على هذا النوع من الأورام وإذا لم تأت الأدوية بنتيجة حاسمة فإنهم يتدخلون

---

[89] موسوعة مرآة الحرمين، 98/1
[90] موسوعة مرآة الحرمين، 98/1
[91] موسوعة مرآة الحرمين، 695/2
[92] موسوعة مرآة الحرمين، 252/1
[93] موسوعة مرآة الحرمين، 898/2
[94] موسوعة مرآة الحرمين، 55/3 وما بعدها
[95] موسوعة مرآة الحرمين، 412/3

جراحيا ليزيلوا التقيحات الداخلية"[96].

رابعًا: الاعتماد على المشاهدة والمعاينة

يعتمد المؤلف اعتمادًا واسعًا على المشاهدة المباشرة، كما في قصته المطولة حول تحديد موضع مصلب خبيب بن عدي، حيث يقول: "وإن كان مكان صلب خبيب بن عدى مجهولا لدى أهل مكة، إلا أن الأشخاص الذين يذهبون إلى مسجد عائشة ويزورون الميل الذي بين الجبلين يكونون قد زاروا مصلب خبيب، لأن هذا الميل علامة خاصة لمكان الصلب ..... وقد استفسرت من علماء مكة عن مصلب خبيب بن عدى، ولكنني لم أحظ منهم بإجابة شافية.

فاعتمدت على نفسي في الكشف عن هذا المكان، ... وأنا أفكر في هذا الموضوع وأقول محدثا نفسي: يا ترى أين يقع مصلب خبيب بن عدى؟

وهداني الله إلى الطريق الصحيح، إذ انقشع الظلام وزادت حرارة الشمس، وجف صدأ العلامة فقرأت عبارة «هذا مصلب خبيب بن عدى»، وأريتها لشيخ العمرة الذي شكرني بدوره كثيرا وسر سرورا عظيما، وأخذ المعتمرون والحجاج فى الذهاب إلى مصلب خبيب بن عدى. "فاستصوبت أن انتظر إلى وقت الزوال... فقرأت عبارة: "هذا مصلب خبيب بن عدى... " [97]

ويمثل هذا النص نموذجًا للمنهج الميداني القائم على: الملاحظة، والمقارنة، والاجتهاد الشخصي.

المبحث الثاني: الملاحظات المنهجية

أولًا: الإطالة

يلاحظ على الكتاب ميل واضح إلى الإطالة، وهو ما يظهر في كثرة التفاصيل والاستطرادات، وإن كان هذا الميل مفهومًا في إطار التأليف الموسوعي.

ثانيًا: الاستطراد

يقع المؤلف أحيانًا في استطرادات طويلة، كما في حديثه المفصل عن تعمير المآذن والنزاعات الإدارية:"وكان العمل بهذا الرأي سببا في وقوع منازعة كبيرة..."[98]

ورغم خروج هذا النص عن الموضوع الرئيس، فإنه يحمل قيمة تاريخية مستقلة.

ثالثًا: قلة التمييز أحيانًا بين الرواية والتاريخ

يتضح هذا في نقله لروايات ذات طابع أسطوري، كما في رواية جمشيد، حيث يقول: "دام ملك جمشيد ثمانمائة عام... وسخر الأنس والجن..."[99]

وكذلك قوله " عاش جمشيد ألف عام قضى 100 أو 300 أو 700 أو 800 سنة في الحكم حسب الروايات المختلفة." [100]

وكذلك في نقله لروايات الإمام الواقدي دون ابداء رأي حاسم: "ويروى الإمام الواقدي أن الحجر المذكور حجر أخضر اللون..."[101]

الخاتمة

خلصت هذه الدراسة إلى أن كتاب «**مرآة الحرمين**» لأيّوب صبري باشا يُعد من أهم المصادر العثمانية في تدوين تاريخ الحرمين

[96] موسوعة مرآة الحرمين، 293/5.
[97] موسوعة مرآة الحرمين، 884/1، وقد كتبت في الترجمة: حاتم بن عدى لا خبيب بن عدي.
[98] موسوعة مرآة الحرمين، 561/4
[99] موسوعة مرآة الحرمين، 370/1
[100] موسوعة مرآة الحرمين، 372/1
[101] موسوعة مرآة الحرمين، 256/1

2026 @ Copyright

الشريفين في القرن الثالث عشر الهجري، لما تميز به من شمول في العرض، ودقة في الوصف، واعتماد على مصادر متعددة جمعت بين الروايات التاريخية والوثائق الرسمية والمشاهدات المباشرة. وقد تبين أن المؤلف لم يكن مجرد ناقلٍ للأخبار، بل مارس دور المؤرخ الواعي الذي يربط الحدث بسياقه السياسي والإداري والعمراني، ويحلل التطورات التي شهدتها مكة المكرمة والمدينة المنورة في عصره.

كما أظهرت الدراسة أن منهج أيوب صبري باشا اتسم بالطابع الموسوعي؛ إذ جمع بين التاريخ والجغرافيا والوصف العمراني ورصد الأحوال الاجتماعية والإدارية، مع عناية ظاهرة بالتوثيق وإثبات المعلومات، وهو ما يعكس خلفيته الإدارية وارتباطه بالمؤسسة العثمانية. وقد أسهم هذا المنهج في تقديم صورة متكاملة للحرمين الشريفين في عصره، مما يجعل كتابه وثيقة تاريخية ذات قيمة علمية عالية، ومصدرًا أساسًا للباحثين في تاريخ الحجاز والدراسات العثمانية والعمارة الإسلامية.

وتتجلى القيمة العلمية للكتاب في كونه شاهدًا معاصرًا على مرحلة مهمة من تاريخ الحرمين، يوثق أعمال التوسعة والإصلاح والتنظيم الإداري، ويعكس الرؤية العثمانية لإدارة المقدسات الإسلامية. ومن ثمّ فإن «مرآة الحرمين» لا يُقرأ بوصفه كتابًا تاريخيًا فحسب، بل بوصفه نصًا حضاريًا يوثق علاقة الدولة العثمانية بالحرمين الشريفين، ويُسهم في فهم التحولات العمرانية والإدارية في تلك المرحلة.

وبناءً على ما سبق، توصي الدراسة بإجراء بحوث مقارنة بين «مرآة الحرمين» والمصنفات العثمانية المعاصرة له، وبإعداد دراسة تحليلية متخصصة في الجانب العمراني للكتاب وربطه بالمعالم الباقية، فضلًا عن تحقيق علمي نقدي يعتمد على نسخه المختلفة، ودراسة أثر الخلفية الإدارية للمؤلف في تشكيل رؤيته التاريخية ومنهجه في العرض والتوثيق.

References:

[1] ابن فهد، محمد بن محمد .*إتحاف الورى بأخبار أم القرى* .تحقيق فهيم محمد شلتوت. مكة المكرمة: جامعة أم القرى، ط1، 1983.

[2] أيوب صبري باشا. موسوعة الحرمين الشريفين وجزيرة العرب، أشرف على ترجمتها: محمد حرب، دار الأفاق العربية، القاهرة، ط1، 2004.

[3] بلوط، علي الرضا قره، وبلوط، أحمد طوران قره. معجم التاريخ «التراث الإسلامي في مكتبات العالم (المخطوطات والمطبوعات)، دار العقبة، قيصري – تركيا، ط1، 1422 هـ - 2001 م

[4] البلوي، مطلق. الوجود العثماني في شمال الجزيرة العربية 1326-1341هـ / 1908- 1923م. جداول للنشر والترجمة والتوزيع، القاهرة، ط1 ،2011.

[5] الجزيري، عبد القادر بن محمد .*درر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة* . تحقيق محمد حسن محمد حسن. بيروت: دار الكتب العلمية، 2002.

[6] حراز، رجب. الدولة العثمانية وشبه جزيرة العرب 1840- 1909، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة 1970.

[7] حرب، تسنيم محمد، الرحلات العثمانية الرسمية إلي الخليج والجزيرة العربية في عهد السلطان عبد الحميد الثاني، مركز طروس للنشر والتوزيع الكويت، ط1، 2019.

[8] الشريف، محمد صادق، وصف مكة المكرمة كما ورد في مصنف "مكة المكرمة أم الدنيا، ترجمة ودراسة: تسنيم محمد حرب، دار الجذور، إستانبول، ط1، 2019.

[9] رافق، عبد الكريم .*العرب والعثمانيون 1516–1916* .دمشق: دار طلاس، 1993.

[10] السباعي، أحمد .تاريخ مكة: دراسات في السياسة، والعلم، والعمران، *والاجتماع* .مكة المكرمة: مكتبة الثقافة، 1999.

[11] السمهودي، نور الدين علي بن عبد الله .*وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى* .تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد. بيروت: دار الكتب العلمية، 1997.

[12] عماد عبد العزيز يوسف، *الحجاز في العهد العثماني 1876 -1918. دار الوراق للنشر، القاهرة، ط1، 2011.*

[13] الفاسي، تقي الدين محمد بن أحمد .*العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين* .تحقيق فؤاد سيد. القاهرة: دار الكتب، 1969.

[14] الفاسي، تقي الدين محمد بن أحمد .*شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام* .تحقيق عمر عبد السلام تدمري. بيروت: دار الكتاب العربي، 1985.

[15] الكردي، محمد طاهر .*التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم* .مكة المكرمة: المطبعة السلفية، 1965.

[16] المكي، محمد الأمين. خدمات العثمانيين في الحرمين الشريفين ومناسك الحج، ترجمة: ماجدة مخلوف، دار الأفاق الجديدة، القاهرة، ط2، 2005.

[17] هريدي، محمد عبد اللطيف. شئون الحرمين الشريفين في العهد العثماني في ضوء الوثائق التركية العثمانية، دار الزهراء للنشر، القاهرة، ط1، 1989.

[18] Akgündüz, Ahmed. *Osmanlı Kanunnameleri ve Hukuki Tahlilleri*. İstanbul: Osmanlı Araştırmaları Vakfı, 1990.

[19] Başbakanlık Osmanlı Arşivi (BOA). Haremeyn Belgeleri. İstanbul.

[20] Emecen, Feridun M. *Osmanlı Klasik Çağında Hanedan, Devlet ve Toplum*. İstanbul: Timaş Yayınları, 2011.

[21] Eyüb Sabri Paşa .MİR'ÂTÜ'L-HAREMEYN (1-2. CİLTLER) MİR'ÂT-I MEKKE: MEKKE TARİHİ ،Çeviren: Ömer Faruk Can-F. Zehra Can ،İstanbul،2018

[22] Faroqhi, Suraiya. *Hacılar ve Sultanlar: Osmanlı Döneminde Hac*. İstanbul: Tarih Vakfı Yurt Yayınları, 1995.

[23] Faroqhi, Suraiya. *Osmanlı'da Kentler ve Kentliler*. İstanbul: Tarih Vakfı Yurt Yayınları, 2000.

[24] İnalcık, Halil. *Osmanlı İmparatorluğu: Klasik Çağ (1300–1600)*. İstanbul: Yapı Kredi Yayınları, 2003.

[25] Kurşun, Zekeriya. *Necid ve Ahsa'da Osmanlı Hakimiyeti*. İstanbul: Marmara Üniversitesi Yayınları, 1998.

[26] Uzunçarşılı, İsmail Hakkı. *Osmanlı Tarihi*. 4 vols. Ankara: Türk Tarih Kurumu Yayınları, 1988.

2026 @ Copyright